السيدة زينب بنت الأمام علي (ع)

عقيلة بني هاشم

لمؤلفه

علي بن الحسين الهاشمي الخطيب

مؤسسة المفيد
للطباعة والنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الواحد الأحد ، الفرد الصمد ، الذي لم يكن له ندٌّ ولا ولد ، ثمَّ الصلاة على نبيه المصطفى ، وآله الميامين الشرفا ، الذين خصّهم الله بآية التطهير. يقول تعالى : (**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمْ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً**).

عقيلة بني هاشم

زينب الكبرى

ولادتها :

ولدت زينب الكبرى بنت أمير المؤمنين (عليه السّلام) في الخامس من جمادى الأولى في السنة الخامسة من الهجرة ، وذكر جلال الدين السيوطي في رسالته (الزينبية) قال : ولدت زينب في حياة جدِّها رسول الله (صلّى الله عليه وآله).

تسميتها وكنيتها :

سماها جدّها رسول الله (صلّى الله عليه وآله) زينب. اسم اختاره لها جدّها سيد البشر (صلّى الله عليه وآله) ، وتكنى أُمّ كلثوم ، وأُمّ الحسن. ويقال لها : زينب الكبرى ؛ للفرق بينها وبين مَن سُمّيت باسمها من أخواتها.

وتلقّب بالصدّيقة الصغرى ؛ للفرق بينها وبين أُمّها الصدّيقة الكبرى فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين. وتلقّب أيضاً بالعقيلة [1] ، وعقيلة بني هاشم ، وعقيلة

---

(١) العقيلة : هي المرأة الكريمة على قومها ، العزيزة في بيتها.

الطـالبيّين ، وتلقـب بالموثّقـة ، والعارفـة ، والعالمـة غيـر المعلمـة ، والفاضـلة ، والكاملـة ، وعابدة آل علي (عليه السّلام).

زينب أُولى بنات أمير المؤمنين (عليه السّلام) ولدتها فاطمة الزهراء بعد الحسنين السبطين (عليهما السّلام) ، ومما يؤكّد ذلك أن الرواة في أيام الاضطهاد كانوا إذا رووا رواية عن علي (عليه السّلام) يقول الرجل : هذه الرواية عن أبي زينب ، كما ذكر ذلك ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ، وإنّما كنّوا أمير المؤمنين (عليه السّلام) بهذه الكنية ؛ لأنّ زينب كانت الأكبر من ولده بعد الحسنين (عليهما السّلام) ، ولم يُعرف بهذه الكنية عند أعدائه.

أبوها :

أبوها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السّلام) ، القرشي الهاشمي ، أبو السبطين الحسن والحسين (عليهما السّلام). ولد في بيت الله الحرام في الثالث عشر من شهر رجب قبل المبعث بعشرة سنين. كان أوّل الناس إسلاماً ، وأعظمهم إقداماً ، وأقواهم شكيمة ، وأشدّهم عزيمة.

كيف لا يكون كذلك وقد تربّى في حجر الرسول الأعظم (صلّى الله عليه وآله) ، وآزره وحامى عنه وهو ابن عشر سنين ، وأخذ عن رسول الله (صلّى الله عليه وآله) كلَّ العلوم ، واقتبس من قبس النبوة حتّى قال (صلّى الله عليه وآله) : «خير أعمامي أبو طالب (عليه السّلام) ، وخير أُخواني علي (عليه السّلام)».

وفداه بنفسه ليلة مبيته على الفراش ، وشهد مع النبي (صلّى الله عليه وآله) مشاهده كلَّها ، وقد زوّجه من ابنته فاطمة الزهراء (عليها السّلام) ؛ إذ

ما كان لها كفواً إلاّ ابن عمها علي بن أبي طالب (عليه السّلام) ، فولدت له الحسن والحسين ، ومحسن السقط ، وزينب الكبرى ، وزينب الصغرى أُمّ كلثوم (عليهم السّلام).

وكان علي (عليه السّلام) أشجع أصحاب رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وأعلمهم بالفرائض والسنن ، وما أشكلت على المسلمين قضية إلاّ وجدوا عند عليٍّ (عليه السّلام) حلّها ، حتّى قال عمر بن الخطاب : لولا علي لهلك عمر.

وكان من الرسول الأعظم (صلّى الله عليه وآله) بمنزلة هارون من موسى ، قال الحميري :

سائل قريشاً به إذ كنت ذا عمهٍ ... مَن كان أثبتها في الدين أوتادا

مَن كان أقدم إسلاماً وأكثرها ... علماً وأطهرها أهلاً وأولادا

مَن وحّد الله إذ كانت مكذبةً ... تدعو مع الله أوثاناً وأندادا

مَن كان يقدم في الهيجاء إذ نكلوا ... عنها وإن بخلوا في أزمةٍ جادا

مَن كان أعدلها حكماً وأبسطها ... كفّاً وأصدقها وعداً وإيعادا

إن يصدقوك فلن يعدوا أبا حسنٍ ... إن أنت لم تلق للأبرار حسّادا

إن أنــت لــم تلــق أقوامــاً ذوي صــلفٍ وذا عنـــادٍ لحـــقِّ اللـــه جحّـــادا

ضُرِبَ (عليه السّلام) على قرنه ، ضربه عبد الرحمان بن ملجم المرادي الخارجي بسيفه وهو يؤدّي الفرض لله تعالى ليلة تسعة عشر من شهر رمضان ، في أفضل الأماكن من القطر العراقي (مسجد الكوفة) ، وفي أفضل الشهور (شهر رمضان المبارك) ، وفي أفضل الأوقات (بين الطلوعين) ؛ طلوع الفجر وطلوع الشمس ، وفي أفضل الأمكنة (محرابه).

ضربه وهو مشغول بالصلاة لله في أول ركعة من صلاة الفجر بين السجدتين ، قال المغفور له السيد حيدر الحلي :

قتلـــتم الصـــلاةَ فـــي محرابِهـــا يـــا قاتليـــه وهـــو فـــي محرابـــهِ
وشـــقّ رأسَ العـــدل ســـيفُ جـــورِكِمْ مُـــذ شـــقّ منـــه الـــرأس فـــي إهابـــهِ
فليبـــكِ جبريـــلُ لـــه ولينتحـــبْ فـــي المـــلأ الأعلـــى علـــى مصـــابه

أُمّها :

أُمّها سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء بنت الرسول الأعظم (صلّى الله عليه وآله) ، كانت تلقّب بالزهراء ، وأُمّ أبيها ، والبتول ، والصدّيقة ، والطاهرة ، والزكية ، والمحدّثة ، وهي أصغر بنات رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ، وأُمّها خديجة بنت خويلد رضوان الله

عليها ، ولدت فاطمة (عليها السّلام) في جمادى الآخرة وعمر النبي (صلّى الله عليه وآله) آنذاك خمس وثلاثين سنة.

نشأت في حجر رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وتربّت في كنفه ، وزوّجها رسول الله (صلّى الله عليه وآله) عليّاً (عليه السّلام). ويروى أنها بكت يوم زواجها ، فقال (صلّى الله عليه وآله) : «ما لكِ تبكين يا فاطمة ، فوالله لقد أنكحتك أكثرهم علماً ، وأفضلهم حلماً ، وأوّلهم سلماً؟!». فولدت له الحسن والحسين وزينب الكبرى وأُمّ كلثوم ومحسن السقط (عليهم السّلام).

وقد انقطع نسل رسول الله (صلّى الله عليه وآله) إلاّ من فاطمة ، وكان النبي (صلّى الله عليه وآله) ينوّه على المنبر بفضلها وشرفها وحبّه لها ، وكان يقول : «فاطمة بضعة منّي ، يؤذيني ما يؤذيها ، ويريبني ما يريبها. يرضى الله لرضا فاطمة ، ويغضب لغضبها».

توفّيت سيدة النساء فاطمة (عليها السّلام) بعد أبيها بخمسة وتسعين يوماً ، وأُلحدت ليلاً بوصية منها ، ودفنها عند قبر أبيها رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ، واليوم يقال لموضع قبرها : بيت فاطمة ، فقال علي (عليه السّلام) يرثيها :

[هـا] قـد قبرتُـك وانصـرفتُ مودّعـاً بـأبي ونفسـي جسـمكِ المقبـورُ
أَمّـا القُبـورُ فَـإِنَّهُنَّ أَوانِـسٌ بِجُـوارِ قَبـرِكَ وَالـدِيارُ قُبـورُ

نشأتها :

نشأت هذه الكريمة في حضن النبوة ، ودرجت في بيت الرسالة ، ورضعت لبان الوحي من ثدي بضعة النبي (صلّى الله عليه وآله) الزهراء البتول (عليها السّلام) ، وغذيت بغذاء الكرامة من كفِّ والدها ابن عمّ الرسول (صلّى الله عليه وآله) ؛

فنشأت نشأة قدسية ، وربيت تربية روحانية ، متجلببة جلباب الجلال والعظمة ، مرتدية رداء العفاف والحشمة ؛ فالخمسة أصحاب العبا (عليهم السّلام) هم الذين قاموا بتربيتها وتثقيفها وتهذيبها ، وكفاك بهم مؤدّبين ومعلمين.

ذكر العلامة محمد علي أحمد المصري في رسالته ، قال : السيدة زينب نشأت نشأة حسنة ، كاملة فاضلة عالمة ، من شجرة أصلها ثابت وفرعها في السماء ، وكانت على جانب عظيم من الحلم والعلم ومكارم الأخلاق ، ذات فصاحة وبلاغة ، تفيض من يدها عيون الجود والكرم.

وقد جمعت بين جمال الطلعة وجمال الطوية حتّى أنها اشتهرت في بيت النبوة. ولقّبت بصاحبة الشورى ، وكفاها فخراً أنها فرع من شجرة أهل بيت النبوة الذين مدحهم الله في كتابه العزيز ... إلى آخر ما كتب عنها.

شرف نسبها وفضلها

جدّها رسول الله (صلّى الله عليه وآله) سيّد المرسلين ، ووالدها علي أمير المؤمنين (عليه السّلام) ، وأُمّها فاطمة سيدة نساء العالمين (عليها السّلام) ، وجدتها خديجة الكبرى أُمّ المؤمنين (عليها السّلام) ، وأخواها الحسن والحسين (عليهما السّلام) سبطا رسول ربِّ العالمين ، وأعمامها طالب وعقيل وجعفر فخر الهاشميين ، والعمّة أُمّ هاني بنت عبد مناف شيخ الأباطح ، وخالاتها أبناء رسول الله (صلّى الله عليه وآله).

نسبٌ كأنّ عليه من شمسِ الضحى نوراً ومن فلقِ الصباح عمودا

وقال آخر :

أبوهـــا علـــيٌّ أثبـــت النـــاس فـــي اللقـــا وأشـــجعُ ممّـــن جـــاء مـــن صـــلب آدمِ

فماذا يكون هذا الشرف ، وإلى أين ينتهي شأوه ويبلغ مداه؟!

وإذا أضفنا إلى شرف نسبها علمَها وفضلَها ، وتقواها وكمالَها ، وزهدَها وورعها ، وكثرة عبادتها ومعرفتها بالله تعالى كان هناك الشرف الذي لا يجاريه شرف.

ذكر النيسابوري في رسالته العلوية قال : كانت زينب بنت علي (عليهما السّلام) في فصاحتها وبلاغتها ، وزهدها وعبادتها كأبيها المرتضى وأُمّها الزهراء (عليهما السّلام).

واقرأ ما دبّجته يراعة البحاثة الكبير (فريد وجدي) ، يقول : السيدة زينب بنت علي (رضي الله عنهما) ، كانت من فضليات النساء ، وشريفات العقائل ، ذات تقى وطهر وعبادة.

وحسب القارئ ما أملاه الأُستاذ حسن قاسم في كتابه (السيدة زينب) قال : السيدة الطاهرة الزكية بنت الإمام علي بن أبي طالب (عليه السّلام) ، ابن عمّ الرسول (صلّى الله عليه وآله) ، وشقيقة ريحانتيه ، لها أشرف نسب ، وأجلّ حسب ، وأكمل نفس ، وأطهر قلب ، فكأنّها صيغت في قالب ضمّخ بعطر الفضائل.

فالمستجلي آثارها يتمثّل أمام عينيه رمز الحق ، رمز الفضيلة ، رمز الشجاعة ، رمز المروءة ، فصاحة اللسان ، قوة الجنان ، مثال الزهد والورع ، مثال العفاف والشهامة ، إنّ في ذلك لعبرة ... إلخ.

وذكر العلامة محمّد علي أحمد المصري في رسالته السيدة زينب (رضي الله عنها) : هي بنت سيدي الإمام علي (كرّم الله وجهه) ، وبنت فاطمة الزهراء بنت رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ، وهي من أجلّ أهل البيت حسباً ، وأعلاهم نسباً ، خيرة السيدات الطاهرات ، ومن فضليات النساء ، وجليلات العقائل ، التي فاقت الفوارس في الشجاعة ، واتّخذت طول حياتها تقوى الله بضاعة.

وكان لسانها الرطب بذكر الله على الظالمين عضباً ، ولأهل الحق عيناً معيناً ، كريمة الدارين ، وشقيقة الحسنين ، بنت الزهراء التي فضّلها الله على النساء ، وجعلها عند أهل العزم أُمّ العزائم ، وعند أهل الجود والكرم أُمّ هاشم.

وإليك ما ذكره عمر أبو النصر في كتابه (فاطمة بنت محمّد) قال : وأمّا زينب بنت فاطمة فقد أظهرت أنها من أكثر أهل البيت جرأة وبلاغة وفصاحة ، وقد استطارت شهرتها بما أظهرت يوم كربلاء وبعده من حجة وقوة ، وجرأة وبلاغة حتّى ضُرب بها المثل ، وشهد لها المؤرّخون والكتّاب.

ومن فضلها وشرفها أنّ الخمسة أهل العبا (عليهم سلام الله) كانوا يحبّونها حبّاً جمّاً ، حتّى ورد في بعض الأخبار أنّ الحسين (عليه السّلام) كان إذا زارته زينب يقوم إجلالاً لها ، وكان يجلسها بمكانه.

ولقد حدّث يحيى المازني عن خفارتها وصونها ، قال : كنت مجاوراً لأمير المؤمنين (عليه السّلام) في المدينة مدة مديدة ، وكنت بالقرب من البيت الذي تسكنه زينب ابنته ، فلا والله ما رأيت لها شخصاً ، ولا سمعت لها صوتاً ، وكانت إذا أرادت أن تزور قبر جدها رسول الله (صلّى الله عليه وآله) تخرج ليلاً ؛ الحسن (عليه السّلام) عن يمينها ، والحسين (عليه السّلام) عن شمالها ، وأبوها أمير المؤمنين (عليه السّلام) أمامها ، فإذا قربت من الروضة النبوية سبقها أبوها أمير المؤمنين فأخمد ضوء القناديل ، فسأله الحسن (عليه السّلام) عن ذلك مرة ، أجابه (عليه السّلام) : «أي بني ، إنّي أخشى أنّ هناك أحداً ينظر شخص أُختك زينب».

هذا هو الشرف ، وهذا هو الصون الذي حفظه التاريخ لهذه السيدة العقيلة.

عبادتها :

قلنا : إنّ السيدة زينب بنت الإمام علي (عليهما السّلام) كانت تشبه أباها عليّاً وأُمها الزهراء (عليهما السّلام) بالعبادة ، كانت تؤدي النوافل كاملة في كلِّ أوقاتها ، حتّى إنّ الحسين (عليه السّلام) عندما أوصاها ليلة العاشرة من المحرم ، فمن جملة وصاياه أن قال لها : «أُختاه يا زينب ، وأُوصيك أن لا تنسيني في نافلة الليل» ، كما ذكر ذلك الفاضل البيرجندي ، وهو مدوّن في كتب السير والمقاتل.

ولم تغفل عن نافلة الليل قطّ حتّى ليلة العاشرة من

المحرم ؛ فلقد جاءت الرواية عن فاطمة بنت الحسين (عليهما السّلام) قالت : أمّا عمتي زينب فإنها لم تزل قائمة في تلك الليلة ـ أي ليلة عاشوراء ـ في محرابها ، تستغيث إلى ربها ، والنساء ما هدأت لهنّ عين ولا سكنت لهنّ رنّة.

كانت (سلام الله عليها) من القانتات العابدات اللواتي وقفن حركاتهنّ وسكناتهنّ وأنفاسهنّ للباري تعالى ، وبذلك حصلن على المنازل الرفيعة ، والدرجات العالية التي حكت برفعتها منازل المرسلين ودرجات الأوصياء (عليهم الصلاة والسّلام) [1].

تهجّدها وأدعيتها :

كانت عقيلة بني هاشم كثيرة العبادة والتهجّد ، تصلّي النوافل ، ولا زالت تتلو القرآن الكريم ، وملازمة له ، ولن يفتر لسانها عن ذكر الله قط ، تدعو الله بعد كلِّ صلاة وتسبّحهُ.

فمن أدعيتها التي كانت تقرأها بعد صلاتها وحال القنوت ، وقد أخذت هذه الأدعية عن جدِّها المصطفى (صلّى الله عليه وآله) ، وأبيها المرتضى (عليه السّلام) ، وأُمّها الزهراء (عليها السّلام) ، من الأدعية التي كانت زينب تدعو بها [2] :

---

(١) هذه الجملة نقلناها من كتاب (زينب الكبرى) لأُستاذنا الشيخ جعفر نقدي (رحمه الله).

(٢) ورد في بعض الأخبار : «مَن واظب على قراءة هذا الدعاء كفاه الله هموم دنياه ، وكان له نوراً في أُخراه».

«يا عمادَ مَن لا عماد له ، ويا ذُخر مَن لا ذُخر له ، ويا سند مَن لا سند له ، ويا حرز الضعفاء ، ويا كنز الفقراء ، ويا سميع الدعاء ، ويا مجيب دعوة المضطرّين ، ويا كاشف السوء ، ويا عظيم الرجاء ، ويا منجي الغرقى ، ويا منقذ الهلكى ، يا مُحسن يا مجمل ، يا منعم يا مفضل ، أنت الذي سجد لك سوادُ الليل ، وضوءُ النهار ، وشعاعُ الشمس ، وحفيفُ الشجر ، ودوي الماء.

يا الله يا الله الذي لم يكن قبله ولا بعده ، ولا نهاية ولا حدّ ، ولا كفؤ ولا ندّ ، بحرمة اسمك الذي في الآدميين معناه ، المرتدي بالكبرياء والنور والعظمة ، محقق الحقائق ، ومطلّ الشرك والبوائق ، وبالاسم الذي تدوم به الحياة الدائمة الأزلية التي لا موت معها ولا فناء ، وبالروح المقدّسة الكريمة ، وبالسمع الحاضر النافذ ، وتاج الوقار ، وخاتم النبوة ، وتوثيق العهد ، ودار الحيوان ، وقصور الجمال ، يا الله لا شريك له».

ومن الأدعية والتسبيحات التي كانت تواظب (عليها السّلام) على قراءتها ، هو : «سبحان مَن لبس العزَّ وتردّى به ، سبحان مَن تعطّف بالمجد والكرم ، سبحان مَن لا ينبغي التسبيح إلاّ له (جلّ جلاله) ، سبحان مَن أحصى كلَّ شيء عدداً بعلمه وخلقه وقدرته ، سبحان ذي العزّة والنعم.

اللهمَّ إنّي أسألك بمعاقد العزِّ من عرشك ، ومنتهى الرحمة من كتابك ،

وباسمك الأعظم ، وجدّك الأعلى ، وكلماتك التامات التي تمّت صدقاً وعدلاً أن تصلّي على محمّد وآل محمّد الطيبين الطاهرين ، وأن تجمع لي خيرَ الدنيا والآخرة بعد عمر طويل. اللهمَّ أنت الحيّ القيوم ، أنت هديتني ، وأنت تطعمني وتسقيني ، وأنت تميتني وتحييني برحمتك يا أرحم الراحمين».

ومن أدعية أبيها الذي كانت تدعو به بعد صلاة العشاء ، وهو : «اللهمَّ إنّي أسألك يا عالمَ الأُمور الخفيّة ، ويا مَن الأرض بعزّته مدحيّة ، ويا مَن الشمس والقمر بنور جلاله مشرقة مضيئة ، ويا مقبلاً على كلِّ نفس مؤمنة زكيّة ، يا مسكّن رعب الخائفين وأهل التقيّة ، يا مَن حوائج الخلق عنده مقضيّة ، يا مَن ليس له بوّاب يُنادي ، ولا صاحب يُغشى ، ولا وزير يُؤتى ، ولا غير ربٍّ يُدعى ، يا مَن لا يزداد على الإلحاح إلاّ كرماً وجوداً ، صلِّ على محمّد وآلِ محمّد ، وأعطني سؤلي إنّك على كلِّ شيء قدير».

وممّا كانت تناجي ربها به هذه الأبيات ، وهي من مناجاة أبيها أمير المؤمنين (عليه السّلام) :

لـك الحمـدُ يـا ذا الجـود والمجـد والعُلـى تباركـتَ تُعطـي مَـن تشـاءُ وتمنـعُ
إلهـي وخلاّقـي وحـرزي ومَـوئلي إليـكَ لـدى الإعسـار واليسـرِ أفـزعُ

إلهـــي لـــئن جلّـــت وجمّـــت خطيئتـــي فعوفـــك عـــن ذنبـــي أجـــلّ وأوســـعُ
إلهـــي لـــئن أُعطيـــت نفســـيَ ســـؤلها فهـــا أنـــا فـــي روضِ الندامـــة أرتـــعُ
إلهـــي تـــرى حـــالي وفقـــري وفـــاقتي وأنـــت مناجـــاتي الخفيـــة تســـمعُ
إلهـــي فـــلا تقطـــع رجـــائي ولا تـــزغْ فـــؤادي فلـــي فـــي ســـيب جـــودك مطمـــعُ
إلهـــي لـــئن خيّبتنـــي أو طردتنـــي فمـــن ذا الـــذي أرجـــو ومـــن ذا أشـــفعُ
إلهـــي أجرنـــي مـــن عـــذابك إنّنـــي أســـيرٌ ذليـــلٌ خـــائف لـــك أخضـــعُ
إلهـــي فآنســـني بتلقـــينِ حجّتـــي إذا كـــان لـــي فـــي القبـــر مثـــوىً ومضـــجعُ
إلهـــي أذقنـــي طعـــم عفـــوك يـــوم لا بنـــونٌ ولا مـــالٌ هنالـــك ينفـــعُ
إلهـــي لـــئن لـــم ترعنـــي كنـــت ضـــائعاً وإن كنـــت ترعـــاني فلســـت أُضـــيّعُ
إلهـــي إذا لـــم تعـــفُ عـــن غيـــر محســـنٍ فمَـــن لمســـيء بـــالهوى يتمتـــع

إلهـــي لـــئن فرّطـــت فـــي طلـــب التقـــى ... فهـــا أنـــا أثـــر العفـــو أقفـــو وأتبـــعُ
إلهـــي لـــئن أخطـــأت جهـــلاً فطالمـــا ... رجوتـــك حتّـــى قيـــل مـــا هـــو يجـــزعُ
إلهـــي ذنـــوبي بـــذّت الطـــودَ واعتلـــتْ ... وصـــفحك عـــن ذنبـــي أجـــلّ وأرفـــعُ
إلهـــي ينحّـــي ذكـــر طولـــك لـــوعتي ... وذكـــر الخطايـــا العـــين منـــيَ يـــدمعُ
إلهـــي أقلنـــي عثرتـــي وامـــحُ حـــوبتي ... فـــإنّي مُقـــرٌّ خـــائفٌ متضـــرعُ
إلهـــي أنلنـــي منـــك روحـــاً وراحـــةً ... فلســـت ســـوى أبـــوابِ فضـــلك أقـــرعُ
إلهـــي لـــئن أقصـــيتني أو أهنتنـــي ... فمـــا حيلتـــي يـــا ربِّ أم كيـــف أصـــنعُ
إلهـــي حليـــفُ الحـــبِّ فـــي الليـــل ســـاهرٌ ... ينـــاجي ويـــدعو والمغفّـــل يهجـــعُ
إلهـــي وهـــذا الخلـــقُ مـــا بـــين نـــائمٍ ... ومنتبـــهٍ فـــي ليلـــه يتضـــرّعُ
وكلهـــمُ يرجـــو نوالـــك راجيـــاً ... لرحمتـــك العظمـــى وفـــي الخُلـــد يطمـــعُ
إلهـــي يمنّينـــي رجـــائي ســـلامةً ... وقـــبحُ خطيئـــاتي علـــيَّ يشـــنّعُ

إلهـــي فـــإن تعفـــو فعفـــوك منقـــذي وإلاّ فبالـــــذنب المـــــدمّر أُصـــــرعُ
إلهـــي بحـــقِّ الهاشـــميّ محمّـــدٍ وحرمـــةِ أطهـــارٍ هـــمُ لـــك خضّـــعُ
إلهـــي بحـــقِّ المصـــطفى وابـــنِ عمِّـــه وحرمـــةِ أبـــرار هـــمُ لـــك خشّـــعُ
إلهـــي فأنشـــرني علـــى ديـــن أحمـــدٍ منيبـــاً تقيـــاً قانتـــاً لـــك أخضـــعُ
ولاتحرمنّـــي يـــا إلهـــي وســـيدي شـــفاعته الكبـــرى فـــذاك المشـــفّعُ
وصـــلِّ علـــيهم مـــا دعـــاك موحّـــدٌ وناجـــاك أخيـــارٌ ببابـــك ركّـــعُ

وكانت لم تزل تلهج بهذه الأبيات ، وهي لأبيها (عليه السّلام) :

وكـــم للـــه مـــن لطـــفٍ خفـــيٍّ يـــدقّ خفـــاه عـــن فهـــمِ الـــذكيِّ
وكـــم يُســـرٍ أتـــى مـــن بعـــد عســـرٍ وفـــرّج كربـــةَ القلـــبِ الشـــجيِّ
وكـــم أمـــرٍ تســـاء بـــه صـــباحاً فتأتيـــكَ المســـرّة بالعشـــيِّ
إذا ضـــاقت بـــك الأحـــوال يومـــاً فثـــق بالواحـــدِ الفـــردِ العلـــيِّ
توسّـــل بـــالنبيِّ فكـــلّ خطـــبٍ يهـــون إذا توسّـــل بـــالنبيِّ
ولا تجـــزع إذا مـــا نـــاب أمـــرٌ فكـــم للـــه مـــن لطـــف خفـــيِّ
حواســـت جمـــع كـــن حواســـت جمـــع كـــن
حواســـت جمـــع كـــن حواســـت جمـــع كـــن

من غُررِ كلامها :

ذكر أحمد بن أبي طاهر ـ طيفور ـ قال : كانت زينب

بنت علي (عليهما السّلام) تقول : مَن أراد أن لا يكون الخلق شفعاؤه إلى الله فليحمده ؛ ألم تسمع إلى قولهم : سمع الله لمن حمده؟ فخف الله لقدرته ، واستحِ منه لقربه منك.

خطبتها في الكوفة :

حدّث حذلم بن كثير قال : قدمتُ الكوفة في المحرم سنة إحدى وستّين عند منصرف علي بن الحسين (عليه السّلام) والسبايا من كربلاء ، ومعهم الأجناد يحيطون بهم ، وقد خرج الناس للنظر إليهم ، فلمّا أقبل بهم على الجمال بغير وطاء ، خرجن نسوة أهل الكوفة يبكين وينشدن.

وذكر الجاحظ في (البيان والتبيين) عن خزيمة الأسدي قال : ورأيت نساء أهل الكوفة يومئذ قياماً يندبن ، متهتّكات الجيوب.

قال حذلم بن كثير : فسمعت علي بن الحسين (عليه السّلام) يقول بصوت ضئيل ضعيف ، وقد أنهكته العلة ، والجامعة في عنقه ، والغل في يديه ، ويداه مغلولتان إلى عنقه : «إنّ هؤلاء النسوة يبكين ، إذاً فمن قتلنا؟!».

قال : ورأيت زينب بنت علي (عليهما السّلام) ، ولم أرَ خفرة [1] أنطق منها ، كأنها تفرغ عن لسان أمير المؤمنين (عليه السّلام).

---

(١) الخفر (بالتحريك) : شدة الحياء ، ومن قولهم : تخفّرت المرأة ، اشتد حياؤها. (لسان العرب)

قال : وقد أومأت إلى الناس أن اسكتوا ، فارتدت الأنفاس وسكنت الأصوات ، فقالت : الحمد لله والصلاة على محمّد وآله الطيبين الأخيار ، أمّا بعد يا أهل الكوفة ، يا أهل الختر [1] والغدر! أتبكون؟! فلا رقأت الدمعة ، ولا هدأت الرنّة ، إنما مثلكم كمثل التي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً [2] ، تتخذون أيمانكم دخلاً بينكم [3].

ألا وهل [فيكم] إلاّ الصلف [4] والنطف [5] ، والكذب والشنف [6] ، وملق الإماء وغمز الأعداء ، أو كمرعى على دمنة [7] ، أو كقصة [8] على ملحودة ، ألا ساء ما قدّمت لكم أنفسكم أن سخط الله عليكم وفي العذاب أنتم خالدون.

أتبكون وتنتحبون؟! إي والله ، فابكوا كثيراً واضحكوا قليلاً ،

---

(١) الختر : الخديعة بعينها ، وقيل : هو أسوء الغدر وأقبحه. وفي التنزيل العزيز : (كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ) ، وفي الحديث : «ما ختر قومٌ بالعهد إلاّ سلّط عليهم العدو». (لسان العرب)

(٢) أي لا تكونوا كالتي غزلت ثمَّ نقضت غزلها ، يقال : كانت امرأة حمقاء تغزل مع جواريها إلى انتصاف النهار ، ثمّ تأمرهنّ أن ينقضن ما غزلن ، ولا يزال ذلك دأبها.

(٣) أي خيانة ومكراً.

(٤) الصلف : الادّعاء تكبراً.

(٥) النطف : التلطّخ بالعيب.

(٦) الشَّنَف (بالتحريك) : البغض والتنكّر.

(٧ الدمنة : ما تدمنه الإبل والغنم بأبوالها وأبعارها.

(٨) القَصَّة بالفتح : بناية مجصّصة على قبرٍ. كأنها تقول : أنتم كقصّة على جيفة ، فشبّهت أجسامهم بالقصة المجصصة على الميتة.

فلقد ذهبتم بعارها وشنارها ، ولن ترحضوها بغسلٍ بعدها أبداً ، وأنّى ترحضون قتلَ سليل خاتم النبوّة ، ومعدن الرسالة ، وسيّد شباب أهل الجنّة ، وملاذ خيرتكم ، ومفزع نازلتكم ، ومنار محجّتكم ، ومدره سنتكم؟! ألا ساء ما تزرون ، وبعداً لكم وسحقاً! فلقد خاب السعي ، وتبّت الأيدي ، وخسرت الصفقة ، وبُؤتم بغضب من الله ، وضُربت عليكم الذلة والمسكنة.

ويلكم يا أهل الكوفة! أتدرون أي كبد لرسول الله فريتم ، وأي كريمة له أبرزتم ، وأي دم له سفكتم ، وأي حرمة له انتهكتم؟! ولقد جئتم بها صلعاء [1] عنقاء ، سوداء فقماء ، خرقاء شوهاء ، كطلاع الأرض [2] أو ملاء السماء ، أفعجبتم أن أمطرت السماء دماً ، ولعذاب الآخرة أخزى وأنتم لا تُنظرون! فلا يستخفّنكم المهل ؛ فإنّه لا يحفزه البدار [3] ، ولا يخاف فوت الثار ، وإنّ ربكم لبالمرصاد.

قال الراوي : فوالله ، لقد رأيت الناس يومئذ حيارى يبكون ، وقد وضعوا أيديهم على أفواههم ، ورأيت شيخاً واقفاً إلى جنبي يبكي حتّى اخضلّت لحيته بالدموع ، وهو يقول : بأبي أنتم وأُمّي! كهولكم خير [الكهول ، وشبابكم خير] الشباب ، ونساؤكم

---

(١) الصلعاء : الداهية. وما بعدها صفات لها في القبح والشدة.

(٢) طلاع الأرض : ملؤها.

(٣) الحفز : الحث والإعجال.

خير النساء ، ونسلكم خير نسلٍ لا يخزى ولا يبزى [1].

كلامها مع ابن زياد :

ذكر أرباب التاريخ كالسيد ابن طاووس وغيره أنّ ابن زياد جلس في القصر ، وأذن للناس إذناً عامّاً ، وجيء إليه برأس الحسين (عليه السّلام) فوُضع بين يديه في طشت ، وأُدخلت عليه نساء الحسين وصبيانه ، وجاءت زينب ابنة علي أمامه وهي متنكرة ، فسأل ابن زياد : مَن هذه المتنكرة؟

فقيل له : هذه زينب ابنة علي.

فأقبل عليها بوجهه ، فقال : الحمد لله الذي فضحكم وأكذب أُحدوثتكم [2].

فقالت (عليها السّلام) : الحمد لله الذي أكرمنا بالنبوة ، وطهّرنا من الرجس تطهيراً ، إنما يُفتضح الفاجر ، ويُكذب الفاسق ، وهو غيرنا.

فقال : كيف رأيت صنع الله بأخيك وأهل بيتك؟

فقالت : ما رأيت إلاّ خيراً ، هؤلاء قوم كُتب عليهم القتل فبرزوا على مضاجعهم ، وسيجمع الله بينك وبينهم ، فتحاج وتخاصم ، فانظر لمن الفلج يومئذ ، ثكلتك أُمّك يابن مرجانة!

فغضب اللعين وهم أن يضربها ، فقال له عمرو بن حريث : إنّها امرأة ، والمرأة لا تؤاخذ بشيء من منطقها.

---

(١) لا يبزى : أي لا يُغلب ولا يُقهر.

(٢) يريد بالأُحدوثة دينَ جدِّها رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ، وما جاء به من عند الله تعالى.

فقال لها ابن زياد : لقد شفى الله قلبي من طاغيتك الحسين ، والعصاة المردة من أهل بيتك.

فقالت : لعمري ، لقد قتلت كهلي ، وقطعت فرعي ، واجتثثت أصلي ، فان كان هذا شفاؤك فلقد اشتفيت.

فقال (لعنه الله) : هذه سجّاعة ، ولعمري لقد كان أبوها سجّاعاً شاعراً.

فقالت : يابن زياد ، ما للمرأة المسبية والسجاعة! وإنّ لي عن السجاعة لشغلاً.

خطبتها في مجلس يزيد :

واستمع الآن إلى خطبتها في مجلس يزيد بن معاوية. روى الشيخ الصدوق ، وابن طيفور [1] ، وغيره من أرباب التاريخ ، قال : لما أُدخل علي بن الحسين (عليه السّلام) وحرمه على يزيد (لعنه الله) ، وجيء برأس الحسين (عليه السّلام) ووُضع بين يديه في طشت ، وجعل يضرب ثناياه بمخصرة كانت في يده ، وهو يتمثّل بأبيات ابن الزبعري المشرك :

يا غرابَ البين ما شئت فقلْ ... إنّما تذكر شيئاً قد فُعلْ

ليت أشياخي ببدرٍ شهدوا ... جزعَ الخزرج من وقع الأسلْ

حين حكّت بقباء بركَها ... واستحرَّ القتلُ في عبد الأشلْ

لأهلّوا واستهلوا فرحاً ... ثمّ قالوا يا يزيدَ لا تُشلْ

لعبت هاشمُ بالملك فلا ... خبرٌ جاء ولا وحيٌ نزلْ

لستُ من خندف إن لم أنتقمْ ... من بني أحمدَ ما كان فعلْ

---

(١) انظر احمد بن طيفور . بلاغات النساء . ص ٢١.

قـــد قتلنـــا الفخـــر مـــن ســـاداتهمْ وعـــــدلنا ميـــــلَ بـــــدرٍ فاعتـــــدلْ

وأخـــــذنا مـــــن علـــــيٍّ ثأرنـــــا وقتلنـــا الفـــارس الشـــهم البطـــلْ [1]

فقامت زينب بنت علي بن أبي طالب (عليه السّلام) ، وأُمّها فاطمة بنت رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وقالت : الحمد لله ربِّ العالمين ، وصلّى الله على رسوله محمّد وآله أجمعين. صدق الله سبحانه حيث يقول : (ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوءَى أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُون).

أظننت يا يزيد ، حيث أخذت علينا أقطار الأرض ، وآفاق السماء ، فأصبحنا نُساق كما تُساق الإماء ، أنّ بنا على الله هواناً ، وبك عليه كرامة ، وأنّ ذلك لعظم خطرك عنده ، فشمخت بأنفك ، ونظرت في عطفك ، تضرب أصدريك فرحاً ، وتنفض مذوريك مرحاً [2] جذلان مسروراً ، حين رأيت الدنيا لك مستوسقة [3] ، والأُمور متّسقة ، وحين صفا لك ملكنا وسلطاننا؟!

فمهلاً مهلاً [4] ، لا تطش جهلاً ، أنسيت قول الله تعالى : (**وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا**

---

(١) ذكر ابن هاشم في سيرته قصيدة ابن الزبعري بكاملها.

(٢) تضرب أصدريك : أي منكبيك ، وتنفض مذوريك : المذوران جانبا الأليتين ، ولاواحد لهما ، وقيل هما طرفا كل شيء ، كما يقال : جاء فلان ينفض مذوريه ، إذا جاء باغيا يتهدد ، وكذلك ، اذا جاء فارغا من غير شغل.

(٣) مستوسقة : أي مجتمعة ، ومتسقة أي منتظمة.

(٤) يقال : مهلا للرجل ، وكذا للانثى والجمع بمعنى امهل.

نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْماً وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ) [1]؟

أمن العدل يابن الطلقاء [2] تخديرك حرائرك وإماءك ، وسوقك بنات رسول الله (صلّى الله عليه وآله) سبايا ، قد هتكت ستورهنّ ، وأبديت وجوههنّ ، وصحلت أصواتهنّ [3] ، تحدو بهنّ الأعداء من بلد إلى بلد ، ويستشرفهنّ أهل المناهل والمناقل ، ويتصفّح وجوههنّ القريب والبعيد ، والشريف والدني ، ليس معهنّ من رجالهنّ ولي ، ولا من حماتهن حمي؟!

وكيف يُرتجى مراقبة ابن مَن لفظ فوه أكباد الأزكياء [4] ، ونبت لحمه من دماء الشهداء؟! وكيف يستبطأ في بغضنا أهل البيت مَن نظر إلينا بالشَّنف والشنآن ، والإحن والأضغان؟!

ثمَّ تقول غير متأثّم ولا مستعظم ، داعيا بأشياخك : ليت أشياخي ببدر شهدوا ، منحنياً على ثنايا أبي عبد الله سيد شباب أهل الجنّة تنكثها

---

(١) سورة آل عمران / ١٧٨.

(٢) الطلقاء : هم أبو سفيان ، ومعاوية ، وبقية الأمويّين الذين أطلقهم رسول الله (صلّى الله عليه وآله) عام الفتح ، يوم ورد (صلّى الله عليه وآله) مكة المكرمة فاتحاً ، وقد أيسوا من أنفسهم ، وما يدرون ما يصنع بهم رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ، فأمرهم أن يجتمعوا وخطبهم ، وقال في آخر خطبته : «اذهبوا فأنتم الطلقاء». فهكذا صاروا عبيداً لرسول الله (صلّى الله عليه وآله) هم وذرّيتهم إلى يوم القيامة.

(٣) صحل صوته : بُح وحسن ، فهو صحِل.

(٤) إشارة إلى هند أُمّ معاوية حين شقّت بطن حمزة وهو قتيل ، ولاكت بأسنانها أمعاءه.

بمخصرتك [١] ، وكيف لا تقول ذلك وقد نكأت القرحة [٢] ، واستأصلت الشأفة [٣] بإراقتك دماء ذرّية محمّد (صلّى الله عليه وآله) ، ونجوم الأرض من آل عبد المطلب؟!

أتهتف بأشياخك زعمت أنك تناديهم؟! فلتردن وشيكاً [٤] موردهم ، ولتودّن أنك شُللت وبُكمت ، ولم تكن قلت ما قلت ، وفعلت ما فعلت. اللهمَّ خذ لنا بحقّنا ، وانتقم ممّن ظلمنا ، واحلُل غضبك بمَن سفك دماءنا ، وقتل حماتنا.

فوالله يا يزيد ، ما فريت [٥] إلاّ جلدك ، ولا حززت إلاّ لحمك ، ولتردنّ على رسول الله بما تحمّلت من دماء ذرّيته ، وانتهكت من حرمته في عترته ولحمته ، حيث يجمع الله تعالى شملهم ، ويلمّ شعثهم ، ويأخذ بحقّهم ، (**وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ**) [٦]. وحسبك بالله حاكماً ، وبمحمّد (صلّى الله عليه وآله) خصيماً ، وبجبرئيل ظهيراً ، وسيعلم مَن سوّل لك ومكّنك من رقاب المسلمين (**بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً**) [٧] ،

---

(١) المخصرة (بكسر الميم) : كالوسط ، أو كلّما اختصره الإنسان بيده فأمسكه من عصا ونحوها.

(٢) نكأت القرحة : أي وسعت مكان جراحها.

(٣) الشأفة : قرحة تخرج في أسفل القدم فتكون وتذهب ، والأصل استأصل الله شافته ، أذهبه كما تذهب تلك القرحة ، أو أزاله من أصله.

(٤) وشيكاً : أي سريعاً.

(٥) الفري : القطع.

(٦) سورة آل عمران / ١٦٩.

(٧) سورة الكهف / ٥٠.

وأيّكم شَرٌّ مَكَاناً وَأَضْعَفُ جُنداً.

يزيد ، ولئن جرّت عليّ الدواهي مخاطبتك [١] ، إني لاستصغر قدرك ، واستعظم تقريعك ، واستكثر توبيخك ، لكن العيون عبرى ، والصدور حرى. ألا فالعجب كلّ العجب لقتل حزب الله النجباء بحزب الشيطان الطلقاء! فهذه الأيدي تنطف [٢] من دمائنا ، والأفواه تتحلب من لحومنا [٣] ، وتلك الجثث الطواهر الزواكي تنتابها العواسل [٤] ، وتعفرها أُمّهات الفراعل [٥].

ولئن اتّخذتنا مغنماً لتجدنا وشيكاً مغرماً ، حين لا تجد إلاّ ما قدمت يداك ، (وما ربّك بظلاّمٍ للعبيدِ) [٦] ، وإلى الله المشتكى ، وعليه المعوّل. فكد كيدك ، واسعَ سعيك ، وناصب جهدك ، فوالله لا تمحو ذكرنا ، ولا تميت وحينا ، ولا تدرك أمدنا ، ولا ترحض عنك عارها ، وهل رأيك إلاّ فند [٧] ، وأيامك إلاّ عدد ، وجمعك إلاّ بدد ، يوم ينادي المنادي ألا لعنة الله على الظالمين.

فالحمد لله ربِّ العالمين الذي ختم لأوّلنا بالسعادة والمغفرة ، ولآخرنا بالشهادة

---

(١) الدواهي : جمع داهية ، وهي النازلة بالإنسان من بلاء وغيره.

(٢) تنطف (بكسر الطاء وضمها) : أي تقطر.

(٣) تنحلب عينه وفوه : أي سالا. (القاموس)

(٤) العواسل : الذئاب السريعة العدو.

(٥) أُمّهات الفراعل : تريد بها الضباع ، جمع فرعل ، وهو ولد الضبع.

(٦) سورة فصلّت / ٤٦.

(٧) الفند : الكذب ، ويقال لضعف الرأي : الفند.

والرحمة ، ونسأل الله أن يكمل لهم الثواب ، ويوجب لهم المزيد ، ويحسن علينا الخلافة ، إنه رحيم ودود ، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

فقال يزيد في جوابها :

يا صيحةً تُحمد من صوائحِ ما أهون النوح على النوائحِ جوابها ليزيد في مجلسه

لما أدخلوا سبايا أهل البيت على يزيد (لعنه الله) ، دعا بنساء أهل البيت والصبايا فأُجلسوا بين يديه ، في مجلسه المشؤوم ، فنظر شامي إلى فاطمة بنت الحسين (عليه السّلام) ، فقام إلى يزيد وقال : يا أمير ، هب لي هذه الجارية لتكون خادمة عندي.

قالت فاطمة بنت الحسين (عليهما السّلام) : فارتعدت فرائصي [1] ، وظننت أن ذلك جائز لهم ، فأخذت بثياب عمتي زينب (عليها السّلام) وقلت لها : عمّة ، أُوتمت على صغر سني وأُستخدم لأهل الشام!

فقالت عمتي للشامي : ما جعل الله ذلك لك ولا لأميرك.

فغضب يزيد وقال : إنّ ذلك لي ، ولو شئت أن أفعل لفعلت.

فقالت زينب (عليها السّلام) : كلاّ والله ، ما جعل الله ذلك لك إلاّ أن تخرج عن ملّتنا وتدين بغير ديننا. فاستطار يزيد غضباً وقال : إيّاي تستقبليني بهذا الكلام! إنّما خرج عن الدين أبوك وأخوك.

فقالت زينب (عليها السّلام) : بدين الله ودين جدّي وأبي اهتديت أنت وأبوك إن

---

(١) الفرائص.

كنت مسلماً. قال : كذبت يا عدوة الله. قالت : يزيد ، أنت أمير ، تشتم ظالماً وتقهر بسلطانك. فكأنه استحى وسكت ، فأعاد الشامي كلامه : هب لي هذه الجارية. فقال له يزيد : اسكت! وهب الله لك حتفاً قاضياً.

وللمرحوم السيد حسن الخطيب البغدادي :

يا قلب زينب ما لاقيت من محنٍ ... فيك الرزايا وكلّ الصبر قد جمعا
لو كان ما فيك من صبرٍ ومن محنٍ ... في قلب أقوى جبال الأرض لانصدعا
[يكفيك] صبراً قلوب الناس كلهمُ ... تفطّرت للذي لاقيته جزعا

شِعْرُها :

جاء في بطون الكتب والأسفار أنّ هذه الأبيات لزينب الكبرى حين رأت شقيقها الحسين (عليه السّلام) سيد شباب أهل الجنّة [مطروحاً] على صعيد كربلاء :

لقد حطّ فينا من زماني نوائبُهْ ... وفرّقنا أنيابه ومخالبُهْ
وجار علينا الدهرُ في أرض غربةٍ ... ودبّت علينا بالرزايا عقاربُهْ
وأردوا أخي بالقتل غدراً وغيلةً ... وما خلّفوا إلاّ الأسى ونوائبُهْ

وجـــار علينـــا الـــدهر والقـــومُ شـــهّدٌ وطمّـــت رزايـــاه وحلّـــت مصـــائبهْ
حســـينٌ لقـــد أمســـى قتـــيلاً مجـــدّلاً وأظلـــم مـــن ديـــن الإلـــه مذاهبـــهْ
فلـــم يبـــقَ لـــي ركـــنٌ ألـــوذ بظلِّـــه ومَـــن ذا يعـــاني الـــدهر مـــن ذا يغالبـــهْ
وفرّقنـــا هـــذا الزمـــان مشـــتتاً وأرحـــت علينـــا الفاجعـــات نكائبـــهْ

ولها (عليها السّلام) :

مـــاذا تقولـــون إن قـــال النبـــيُّ لكـــمْ مـــاذا فعلـــتم وأنـــتم آخـــر الأُمـــمِ
بعترتـــي أهـــلِ بيتـــي بعـــد مفتقـــدي مـــنهم أُســـارى ومـــنهم ضـــرّجوا بـــدمِ
مـا كـان [هـذا] جزائـي إذ نصـحت لكـمْ أن تخلفـــوني بســـوءٍ فـــي ذوي رحمـــي

تزويجها :

إنّ العقيلة زينب بنت علي (عليهما السّلام) خطبها الأشراف من قريش والرؤساء من القبائل ، فكان علي (عليه السّلام) يردهم ويقول : «بناتي لأولاد إخوتي».

ويُروى أنّه خطبها الأشعث بن قيس ، وكان من ملوك كندة ، فزبره علي (عليه السّلام) وردّه وقال له : «يابن

الحائك [1]! أغرّك ابنُ أبي قحافة حين زوّجك اخته؟!». فخاب الأشعث مما به ورجع آيساً.

ولكن أمير المؤمنين (عليه السّلام) كان بودّه أن يزوج بناته من أبناء أخيه ؛ اقتداءً بقول النبي (صلّى الله عليه وآله) عندما نظر ذات يوم إلى أولاد علي وجعفر ، قال : «بناتنا لبنينا ، وبنونا لبناتنا». فأعطى علي (عليه السّلام) رقية لابن أخيه مسلم بن عقيل [2] ، وزوّج السيدة زينب (عليها السّلام) من ابن أخيه عبد الله بن جعفر بن أبي طالب (عليه السّلام) على صداق أُمّها سيدة النساء فاطمة (عليها السّلام) على أربعمئة وثمانين درهماً ، ووهب المهر علي (عليه السّلام) إيّاه من خالص ماله.

زوجها :

عبد الله بن جعفر هو أوّل مولود ولد في الإسلام بأرض الحبشة ، ونشأ وترعرع في حجر عمّه أمير المؤمنين (عليه السّلام) إلى أن زوّجه ابنته زينب الكبرى. وكان عبد الله بن جعفر بن

---

(١) الحائك هنا : يريد به المحتال ، أو الذي يحوك الكلام كذباً ، وكان أبو بكر قد زوّج أُخته أُمّ فروة بنت أبي قحافة من الأشعث ؛ وذلك إنّ الأشعث ارتدّ فيمن ارتد من الكنديّين ، وأُسر فأُحضر إلى أبي بكر ، فأسلم ، وأطلقه وزوّجه أُخته أُمّ فروة ، فأولدها محمّد بن الأشعث ، وكان محمّد من قوّاد جيش ابن زياد ، وممّن حارب الحسين (عليه السّلام) يوم الطفِّ.

(٢) مسلم بن عقيل ابن عم الحسين (عليه السّلام) ورسوله إلى أهل الكوفة ، قتله ابن زياد ، وأمر به فرموا جسده من على سطح قصر الإمارة إلى الأرض ، وسحبوه بأسواق الكوفة ، وقبره اليوم إلى جنب المسجد الأعظم بالكوفة يُزار ويُتبرك به.

أبي طالب (عليه السّلام) جواداً كريماً تتغنى بذكره الركبان ، وكان يكنى بأبي محمّد ، وأبي جعفر.

أبوه جعفر الطيار بالجنّة مع الملائكة ، وهو قتيل مؤتة. وأُمّه أسماء بنت عميس الخثعمية ، وهي أُخت ميمونة بنت الحرث أُمّ المؤمنين. كانت تحت جعفر بن أبي طالب (عليه السّلام) فقُتل عنها ، وبعده تزوّجها أبو بكر فأولدها محمداً ، أنبل فتى في قريش ، ولمّا توفي عنها أبو بكر تزوجها أمير المؤمنين (عليه السّلام) فولدت له يحيى بن علي ، [وقد] توفي في حياة أبيه أمير المؤمنين (عليه السّلام) [1] على أشهر الروايات.

وكان عبد الله بن جعفر ممن صحب النبي (صلّى الله عليه وآله) وحفظ عنه أحاديث كثيرة ، وجاء في الإصابة لابن حجر : قال ابن جريح : أنبأنا جعفر بن خالد بن سارة أنّ أباه أخبره عن عبد الله بن جعفر ، قال : مسح رسول الله (صلّى الله عليه وآله) رأسي وقال : «اللهمَّ اخلف جعفراً في ولده». وقد أخذه بيده : «اللهمَّ اخلف جعفراً في أهله ، وبارك لعبد الله في صفقة يمينه ـ قالها ثلاثاً ـ ، وأنا وليّهم في الدنيا والآخرة».

ثمّ إنّ عبد الله لازم عمّه أمير المؤمنين وولديه الحسنين (عليهم السّلام) ، وأخذ منهم العلم الكثير.

---

(١) هذه رواية أبي الفرج الإصبهاني في مقاتل الطالبيّين.

وجاء في كتاب (الاستيعاب) أنّ عبد الله بن جعفر كان كريماً جواداً ، ظريفاً خليقاً ، عفيفاً سخياً يسمّى بحر الجود ، وذكر ابن عساكر قال : روى الحافظ أنّ معاوية كان يقول : بنو هاشم رجلان ؛ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) لكلِّ خير ذُكر ، وعبد الله بن جعفر لكلِّ شرف. والله لكأنّ المجد نازل منزلاً لا يبلغه أحد ، وعبد الله بن جعفر نازل وسطه.

وقال الشعبي : دخل عبد الله بن جعفر على معاوية وعنده يزيد ابنه ، فجعل يزيد يعرّض بعبد الله في كلامه وينسبه إلى الإسراف في غير مرضاة الله ، فقال عبد الله ليزيد : إنّي لأرفع نفسي عن جوابك ، ولو صاحب السرير [يكلّمني] لأجبته.

فقال معاوية : كأنك تظن أنك أشرف منه!

قال : إي والله ، ومنك ومن أبيك وجدّك.

فقال معاوية : ما كنت أحسب أنّ أحداً في عصر حرب بن أُميّة أشرف من حرب بن أُميّة.

فقال عبد الله : بلى والله يا معاوية ، إنّ أشرف من حرب مَن أكفأ عليه إناءه وأجاره بردائه.

قال : صدقت يا أبا جعفر.

ثمّ ذكر الشعبي معنى قول عبد الله (مَن أكفأ عليه إناءه) ، وأنه عبد المطلب بن هاشم ، في قضية ذكرها المؤرّخون في ما دوّنوه.

ونذكر من جود ابن جعفر وكرمه ما ذكره ابن عساكر في تاريخه ، قال : جاء شاعر إلى عبد الله بن جعفر فأنشده هذه الأبيات :

رأيـــت أبـــا جعفـــرٍ فـــي المنـــام كســـــاني مـــــن الخـــــزِّ درّاعـــــةْ

نقلـــــت الـــــى صـــــاحبي أمرهـــــا فقـــــال ســـــتؤتى بهـــــا الســـــاعة
سيكســـــوكها الماجـــــد الجعفـــــري ومـــــن كفـــــه الـــــدهر نفاعـــــه
ومـــــن قـــــال للجـــــود لا تعـــــدني فقـــــال : لـــــك الســـــمع والطاعـــــة

فقال عبد الله لغلامه : ادفع إليه جبّتي الخز. ثمّ قال له : ويحك! كيف لم ترَ جبتي الوشي التي اشتريتها بثلاثمئة دينار منسوجة بالذهب؟

فقال : أغفى غفية أُخرى فلعلّي أراها في المنام.

فضحك منه عبد الله وقال لغلامه : ادفع إليه جبّتي الوشي أيضاً.

ويروى أنّ أحد الخلفاء أرسل إلى عبد الله بن جعفر ثلاثة آلاف ، فلامه بعض الناس على عطائه هذا ، فقال : والله ، ما أعطيته هذا المال إلاّ لجميع أهل المدينة. ثمّ لازم الرجل له من صحبه ، وابن جعفر لا يعرفه ؛ لينظر ما يفعل ، فرآه صار يفرّق ذلك المال على فقراء أهل المدينة ، وزاد عليه من خالص أمواله أضعافه. وعوتب عبد الله في ذلك ، فقال : إنّ الله عوّدني عادة ، وعودت الناس عادة ، فأنا أخاف إن قطعتُها قُطعت عنّي.

قيل ومدحه نصيبٌ فأعطاه إبلاً وخيلاً وثياباً ودنانير ودراهم ، فقيل له : تعطي لهذا الأسود مثل هذا؟!

فقال : إن كان أسودَ فشعره أبيض ، ولقد استحق بما قال أكثر ممّا نال ، وهل أعطيناه إلاّ ما يبلى ويفنى ، وأعطانا مِدَحاً تُروى وثناءً يبقى.

ولم يكن في أيامّه أجود منه إلاّ ابن عمّه الحسن بن

علي (عليه السّلام) أول السبطين. هذه نبذة من أخبار جوده ، ولنكتفي بها هنا خشية الإطالة.

وفاته :

توفي عبد الله بن جعفر بالمدينة المنورة سنة ثمانين ، وصلّى عليه أبان بن عثمان بن عفان ، ودفن بالبقيع. هكذا ذكره الداودي في كتابه عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب.

ويروى أنه توفي عام الجحّاف ـ سيل كان ببطن مكة جحف بالناس فذهب بالحاج وأمتعتهم ، والجمال بأحمالها ـ وذلك في خلافة عبد الملك بن مروان ، وصلّى على جنازة عبد الله الإمامُ السجّاد أو الباقر (عليهما السّلام) ، وأمير المدينة يومئذ أبان بن عثمان.

أولاده وأولادها :

خلّف عبد الله بن جعفر عدّة أولاد ، وذكر أسماءهم صاحب العمدة ، قيل : عشرين ولداً ، وقيل : أربعة وعشرين لأُمّهات شتى ، ولكن المشهور عند أرباب التاريخ أنّ له من زينب أولاد أربعة ؛ عون الأكبر ، ومحمد ، وعلي ، وأُمّ كلثوم.

أما محمّد وأخوه عون ابنا عبد الله بن جعفر الطيّار فقد خرجا مع خالهما الحسين (عليه السّلام) وأُمّهما زينب الكبرى إلى العراق ، وقد أوصاهما أبوهما بخالهما ، وأن لا يفارقاه.

فأقبلا في ركب الحسين (عليه السّلام) إلى الطفِّ ، وجاهدا بين يديه يوم عاشوراء

وقُتلا ، وأُمّهما زينب تنظر إليهما.

وكان قد تقدّم في ذلك اليوم محمّد بن عبد الله إلى خاله الحسين (عليه السّلام) ، وأستأذن منه للبراز فأذن له الحسين (عليه السّلام) ، فحمل وهو يرتجز قائلاً :

أشكو إلى الله من العدوانِ فعالَ قومٍ في الردى عميانِ

قد بدّلوا معالم القرآنِ ومُحكمِ التنزيلِ والتبيانِ

فقتل عشرة من أهل الكوفة ، وحمل عليه عامر بن نهشل التميمي فقتله ، ومشى لمصرعه خاله الحسين (عليه السّلام) ومَن معه ، فحملوه من الميدان وجاؤوا به قتيلاً إلى الخيمة ، وفيه يقول سليمان بن قتّة :

وسميّ النبيّ غودر فيهم قد علوه بصارمٍ مصقولِ

فإذا ما بكت عيني فجودي بدموعٍ تسيلُ كل مسيلِ

قال أرباب المقاتل : واستأذن الحسين (عليه السّلام) من بعده أخوه عون بن عبد الله للبراز فأذن له ، فحمل وهو يقول :

إن تنكروني فأنا ابنُ جعفر شهيدِ صدقٍ في الجنان أزهر

يطيـــــر فيهـــــا بجنـــــاح أخضـــــر كفـــا بهـــذا شـــرفاً فـــي المحشـــر

وصار يقاتلهم حتّى قتل منهم ثلاثة فوارس وثمانية عشر راجلاً ، ثمّ علاه بسيفه عبد الله بن قطنة الطائي فقتله ، وفيه يقول سليمان بن قتة :

عـــين جـــودي بعبـــرةٍ وعويـــلِ وانـــدبي إن نـــدبت آلَ الرســـولِ

ســـتّةٌ كلُّهـــم لصـــلبِ علـــيٍّ قـــد أُصـــيبوا وســـبعةٌ لعقيـــلِ

وانـــدُبي إن نـــدبت عونـــاً أخـــاهمْ لـــيس فيمـــا ينـــوبهم بخـــذولِ

فلعمـــري لقـــد أُصـــيب ذو القربـــى فبكـــي علـــى المصـــاب الجليـــلِ

ودُفنا مع شهداء الطالبيّين [1] في حفرة واحدة عند رجلي الحسين (عليه السّلام).

وربما يتوهم البعض أنّ المرقد الذي بالقرب من كربلاء هو مرقد عون بن عبد الله ، أو يزعم البعض أنه مرقد عون بن علي بن أبي طالب (عليه السّلام) ، وأُمّه فاطمة

---

(١) انظر السيد جعفر بن السيد محمد الأعرجي المتوفّى سنة ١٣٣٣ هـ [في] مناهل الضرب في أنساب العرب (مخطوط) ، وتوجد نسخة منه لدى حفيده الأستاذ السيد باقر الأعرجي حاكم [بلدية] البصرة اليوم ، وأُخرى عند العلامة آقا بزرك الطهراني.

بنت حزام الكلابية أحد إخوة العباس الثلاثة ، وكلا القولين وهمٌ صرف واشتباه ، وإنّما هو قبر عون بن عبد الله بن جعفر بن مرعي بن علي بن الحسن البنفسج بن إدريس بن داود بن أحمد المسوّر بن عبد الله بن موسى الجون بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب (عليه السّلام) ، كان في الحائر المقدس الحسيني ، وكانت له ضيعة على ثلاثة فراسخ عن بلد كربلاء ، فخرج إليها وأدركه الموت فدُفن في ضيعته ، فكان له مزار مشهور وقبّة عالية ، والناس يقصدونه بالنذور وقضاء الحاجات ... إلخ.

واليوم صار مرقده على الطريق العام الطريق المعبّد ، يقع على الجانب الأيسر لمن يقصد كربلاء المقدسة للقادم من قضاء المسيب ، ويبعد عن كربلاء خمسة أميال.

وذكر المؤرّخون أنه لمّا ورد نعي الحسين (عليه السّلام) ونعيهما إلى المدينة كان عبد الله بن جعفر جالساً في بيته ، والناس يدخلون عليه يعزّونه ، فقال غلامه أبو اللسلاس : هذا ما لقيناه ودخل علينا من الحسين (عليه السّلام)!

فحذفه عبد الله بنعله ، وقال له : يابن اللخناء! أللحسين تقول هذا؟! والله ، لو شهدته لما فارقته حتّى أُقتل معه. والله ، إنه لممّا يسخي بالنفس عنهما ويهون عليّ المصاب بهما أنهما أُصيبا مع أخي وابن عمي ، مواسين له صابرين معه.

ثمّ أقبل على جلسائه ، وقال : الحمد لله ، أعزز عليّ بمصرع الحسين أن

لا أكن آسيت حسيناً بيدي فقد آسيته بولدي محمّد وعون.

وأمّا علي بن عبد الله فهو المعروف بالزينبي ، نسبة إلى أُمّه زينب بنت علي (عليه السّلام). ذكروا أنه كان ثلاثة في عصر واحد ، بني عمٍّ ، يرجعون إلى أصل قريب كلّهم يسمى علياً ، وكلّهم يصلح للخلافة ، وهم : علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (عليه السّلام) ـ السجاد (عليه السّلام) ـ ، وعلي بن عبد الله بن العباس ، وعلي بن عبد الله بن جعفر الطيار. ولكن إمام المسلمين وقتئذ كان السجاد زين العابدين (عليه السّلام) ؛ يعظّمه القريب والبعيد ، وتعنوا له كبار المسلمين.

وقد تزوّج علي بن عبد الله لبابة بنت عبد الله بن عباس حبر الأُمّة ، وكان نسل عبد الله بن جعفر منه. والسادة الزينبيّة كثيرون في العراق وفارس ، ومصر والحجاز ، والأفغان والهند ، وقد جعل الله البركة في نسل هذه السيدة الطاهرة وطيّب سلالتها.

وذكر السيد الزبيدي في تاج العروس قال : والزينبيّون بطن من ولد علي الزينبي ابن عبد الله الجواد ابن جعفر الطيار ، نسبة إلى أُمّه زينب بنت سيدنا علي (عليه السّلام) ، وأُمّها فاطمة (عليها السّلام).

وولد علي هذا أحد أرحام لآل أبي طالب الثلاثة ، أعقب من ابنه محمّد والحسن ، وعيسى ويعقوب ، ومن عقبه أبو الحسن علي بن طلحة بن علي بن محمّد الزينبي ، تولى الخطابة والنيابة بعد أبيه في زمن المستنجد ، وتوفي سنة ٥٦١ هـ.

وأمّا أُمّ كلثوم بنت زينب فهي التي خطبها معاوية لولده يزيد كما ذكر ذلك ابن شهر آشوب [1] ، وذلك لمّا طلب معاوية بن أبي سفيان من مروان بن الحكم ـ وكان والياً على المدينة من قبله ـ أن يخطب أُمّ كلثوم بنت زينب ، فقال أبوها عبد الله بن جعفر ؛ إنّ أمرها ليس إليّ ، إنّما هو إلى سيدنا الحسين (عليه السّلام) ، وهو خالها.

فأخبر الحسين (عليه السّلام) بذلك ، فقال : «استخير الله تعالى. اللهمَّ وفّق لهذه الجارية رضاك من آل محمّد».

فلما اجتمع الناس في مسجد رسول الله (صلّى الله عليه وآله) أقبل مروان حتّى جلس إلى الحسين (عليه السّلام) ، وقال : إن أمير المؤمنين ـ يعني معاوية ـ أمرني بذلك ، وأن أجعل مهرها حكم أبيها بالغاً ما بلغ ، مع صلح ما بين هذين الحيّين ، مع قضاء دينه.

واعلم أنّ من يغبطكم بيزيد [أكثر ممّن يغبطه بكم. والعجب كيف يستمهر يزيد] [*] وهو كفؤ من لا كفؤ له ، وبوجهه يستسقى الغمام! فرد خيراً يا أبا عبد الله.

فقال الحسين (عليه السّلام) : «الحمد لله الذي اختارنا لنفسه ، وارتضانا لدينه ، واصطفانا على خلقه ... إلى آخر كلامه (عليه السّلام) ، ثمّ قال : يا مروان ، قد قلت فسمعنا ؛ أمّا قولك : مهرها حكم أبيها بالغاً ما بلغ ، فلعمري لو أردنا ذلك ما عدونا سنة رسول الله (صلّى الله عليه وآله) في بناته ونسائه وأهل بيته ، وهو اثنتا عشرة أوقية ، يكون أربعمئة وثمانين درهماً.

---

(١) انظر المناقب لابن شهر آشوب ٢ / ١٧١ ، الطبعة الأُولى.

(*) ما بين المعقوفتين ساقط من الأصل ، وقد جئنا به من المناقب نفسها. (موقع معهد الإمامين الحسنَين)

وأمّا قولك : مع قضاء دين أبيها ، فمتى كنّ نساؤنا يقضين عنّا ديوننا؟!

وأمّا قولك : صلح ما بين هذين الحيّين ، فإنّا قوم عاديناكم في الله ، ولم نكن نصالحكم للدنيا ؛ فلعمري لقد أعيا النسب ، فكيف السبب؟!

وأمّا قولك : والعجب كيف يستمهر يزيد! فقد استمهر مَن هو خير من يزيد ، ومن أبِ يزيد ، ومن جدِّ يزيد.

وأمّا قولك : إنّ يزيد كفؤ مَن لا كفؤ له ، فمَن كان له كفؤ قبل اليوم فهو كفؤه اليوم ، ما زادته إمارته في الكفاءة شيئاً.

وأمّا قولك : وجهه يستسقى به الغمام ، فإنما كان ذلك وجه رسول الله.

وأمّا قولك : مَن يغبطنا به أكثر ممّن يغبطه بنا ، فإنّما يغبطنا به أهلُ الجهل ، ويغبطه بنا أهلُ العقل».

ثمّ قال (عليه السّلام) : «فاشهدوا جميعاً أني قد زوّجت أُمّ كلثوم بنت عبد الله بن جعفر من ابن عمِّها القاسم بن جعفر على أربعمئة وثمانين درهماً ، وقد نحلتها ضيعتين بالمدينة ـ أو قال : أرضي بالعقيق ـ ، وإنّ غلتها بالسنة ثمانية آلاف دينار ، ففيها لها غنى إن شاء الله تعالى» [1].

قال الراوي : فتغيّر وجه مروان ، وقال : أغدراً يا بني هاشم؟ تأبون إلاّ العداوة!

فذكّره الحسين (عليه السّلام) خطبة الحسن عائشة وفعله ، ثمّ قال : «فأين موضع الغدر يا مروان؟».

---

(١) وروي أنّه أنحلها (البغيبغات) ، وهي ثلاث عيون في ينبع ، يقال لإحداها : خيف ليلى ، وللثانية : خيف الأراك ، وللثالثة : خيف البعاس.

فقال مروان :

أردنـــــا ودّكـــــمْ لنجـــــدّ ودّاً قـــد اخلقـــهُ بـــه حـــدثُ الزمـــانِ

فلمّـــــا جئـــــتكمْ فجبهتمـــــوني وبحـــتم بالضـــمير مـــن الشـــنانِ

فأجابه ذكوان مولى بني هاشم :

أمـــاط اللـــهُ عـــنهم كـــلَّ رجـــسٍ وطهّـــرهم بـــذلك فـــي المثـــاني

فمـــالهمُ ســـواهم مـــن نظيـــرٍ ولاكفـــؤٍ هنـــاك ولا مـــداني

أتجعـــل كـــلَّ جبّـــارٍ عنيـــدٍ إلـــى الأخيـــار مـــن أهـــل الجنـــانِ

فتزوّج أُمَّ كلثوم القاسمُ بن محمّد بن جعفر وأولدها فاطمة. قال أحمد بن طيفور [1] : فاطمة بنت القاسم تزوجت طلحة بن عمر بن عبيد الله بن معمر فولدت له رملة ، تزوّجها هشام بن عبد الملك فلم تلد له ، فقال لها هشام : أنت بغلة لا تلدين. فقالت له رملة : يأبى كرمي أن يدنّسه لؤمك.

أسفارها :

أجمع المؤرّخون على أنّ السيدة زينب بنت الإمام علي بن أبي طالب (عليه السّلام) سافرت أوّلاً مع أبيها أمير المؤمنين (عليه السّلام) من المدينة إلى عاصمة حكمه الكوفة (العراق) ، ورجعت إلى مسقط رأسها المدينة المنورة مع أخيها

---

(١) انظر أحمد بن أبي طاهر بن طيفور . بلاغات النساء / ١٤٣ ، طبع مصر.

الحسن سيد شباب أهل الجنة وأول السبطين (عليهما السّلام).

وفي عام ستّين للهجرة سافرت مع أخيها الحسين (عليه السّلام) ريحانة رسول الله إلى كربلاء ـ العراق ـ للمرة الثانية ، وأُخذت من العراق بعد واقعة الطفِّ إلى الكوفة أسيرة مع السجاد زين العابدين (عليه السّلام) ، وعيالات الحسين ومَن معهنّ من نساء الهاشميّين والأنصار ، ومنها سيّرت إلى دمشق الشام ، ومكثت بالشام أسيرة ، وبعدها رجعت إلى العراق مع السجاد زين العابدين (عليه السّلام) ـ إلى كربلاء ـ لتجديد العهد بزيارة أخيها الحسين والشهداء معه من آل رسول الله (صلوات الله عليهم أجمعين) ، ورجعت منها إلى المدينة في حالة مشجية.

والسفرة الأخيرة كانت مع زوجها عبد الله بن جعفر (رحمه الله) حين جاء بها إلى دمشق ليتعاهد أُمور ملكه في قرية راوية ، وفي هذه السفرة توفّيت ودفنت في راوية من أعمال دمشق ، والتي تبعد عنها من الجهة الشرقية الجنوبية ما يقرب من سبعة كيلو مترات ، وتُعرف اليوم بقرية قبر الست ، ولم يحدّثنا التاريخ عن غير هذه السفرات للسيدة زينب (عليها السّلام).

بعض ما قيل فيها شعراً

قصيدة للأُستاذ الكبير الشاعر الفحل السيد محمود الحبوبي

نظمها أثناء طوافه حول ضريح السيدة الجليلة عقيلة

الهاشميّين زينب

ابنة أمير المؤمنين علي (عليه السّلام) ، وذلك عام ١٩٥٠ م.

. أمام ضريح زينب ابنة علي (ع) :

هـــذا ضـــريحكِ يابنـــتِ الزهـــراءِ أم روضـــــةٌ قدســـــيةُ الأشـــــذاءِ

جئنـــا لـــه متبـــرّكين بلثمـــهِ وبـــه حططنـــا اليـــوم كـــلَّ رجـــاءِ

حـــرمٌ عليـــه مـــن النبـــوة هيبـــةٌ تحنـــى لـــديها أرؤسُ العظمـــاءِ

مهمـــا ســـعينا حولـــه فكأننـــا نســـعى حيـــال الكعبـــةِ الغـــرّاءِ

ولقـــد نجـــا المتمســـكون ببابـــهِ مـــن كـــلِّ شـــرٍّ طـــارقٍ وبـــلاءِ

غمـــــــرت جوانبَـــــــه القداســـــــةُ فـــاعتلى شـــرفاً تجـــاوز مـــوطن الجـــوزاءِ

نـــــورُ الرســـــالة والإمامـــــة ســـــاطعٌ منـــــه ســـــطوعُ الكوكـــــب الوضّـــــاءِ

طفنـــــا بـــــه فأعـــــاد ذكـــــرى كـــــربلا مخضـــــوبة مـــــنكم بخيـــــر دمـــــاءِ

للـــــه يـــــوم الطـــــفِّ قلبـــــك بعـــــدما شـــــاهدتِ مصـــــرع ســـــيّدَ الشـــــهداءِ

وبجنبـــــــه أبنـــــــاؤه وصـــــــحابه كالبـــــدر حاطتـــــه نجـــــوم ســـــماءِ

وحُملـــتِ بعـــدُ إلـــى دمشـــق أســـيرةً وأجـــلّ مـــن أُنجـــبن مـــن حـــواءِ

ولقيـــــتِ صـــــابرةً أمـــــضّ فجيعـــــة بـــــــالإخوة الأطهـــــار والأبنـــــاءِ

حُلـــقٌ مـــن الهـــادي الأمـــينِ ورثتِـــهِ ومـــــن الوصـــــي وآلـــــك الأُمنـــــاءِ

فتركـــتِ يـــا فخـــر العقائـــلِ فـــي المـــلا أســـــمى فخـــــارٍ خالـــــدٍ وعـــــلاء

ترعـــاه عـــينُ اللـــه فهـــو علـــى المـــدى بـــــاقٍ بروعتـــــه بقـــــاء ذُكـــــاءِ

وعليـــــك منـــــه صـــــلاتُه وســـــلامُه فـــــي كـــــلِّ صـــــبحٍ مشـــــرق ومســـــاءِ

تيهي جلالاً يا بقاع الراوية

للعلامة المحقق السيد محمد مهدي الخراسان

تيهـــي جـــلالاً يـــا بقـــاع (الراويـــه) وتطـــاولي شـــرفاً بمثـــوى (الزاكيـــه)
أدريـــتِ مَـــن حلّـــت ربـــاكِ فطهّـــرتْ منـــك الربـــوعَ مـــن الكـــلابِ العاويـــه
تلك من حلت العقيلة «زينب» تنمى إلى شـرف يطـول علـى السـماء السـاميه (*)
فلَبضـــعة الزهـــراء كانـــت أُمّهـــا حـــدبت عليهـــا وهـــي تُـــدعى الحانيـــه
وإلـــى علـــيٍّ وهـــو خيـــرُ أُرومـــةٍ نســـبٌ تـــبلّج كالســـماء الضـــاحيه
والجـــدّ أحمـــدُ مـــن أتـــى بشـــريعةٍ تهـــدي البرايـــا للقيامـــة باقيـــه

(*) هكذا ورد البيت في النسخة التي بين أيدينا ، ولا يخفى ما فيه من خلل عروضي واضح. (موقع معهد الإمامين الحسنَين)

اِروي الحـــديث وأنـــت بعـــضُ شـــهودِه ... فـــالقول منـــك مصـــدّق يـــا «راويـــه»
وتحـــدّثي للجيـــل عـــن قـــومٍ مضـــوا ... فالجيـــل هـــذا العصـــر أُذنٌ صـــاغيه
كـــم بالشـــئام عجائـــبٌ مـــرت بهـــا ... بالنافعـــات عـــن القـــرون الماضـــيه
تلـــك اللظـــات تقـــصّ بعـــض حـــديثها ... عـــن زمـــرةٍ حكمـــت فكانـــت طاغيـــه
قـــرن مـــن الأعـــوام أثقـــل كـــاهلي ... بالفادحـــات فعـــدتُ منهـــا خاويـــه
كـــم ذا لقيـــت مـــن الإســـاءة والعنـــا ... مـــن صـــبية ذرئـــت لنـــار حاميـــه
فـــالخمرة الصـــهباء مـــلءُ بطونِهـــا ... وأكفّهـــا خضـــبت دمـــاءً زاكيـــه
نـــزو القـــرود علـــى منـــابر أحمـــدٍ ... جهـــدت تعيـــد الشـــرك فـــيهم ثانيـــه
قصـــرت بهـــا الأنســـاب أقصـــى فخرهـــا ... شـــيخٌ كفـــور أو عجـــوزٌ زانيـــه
صـــخر وهنـــد والفـــروع بأصـــلِها ... هـــذا النجـــار وذي الأُصـــول كمـــا هيـــه
يـــا «راويـــة» فـــاروي الحـــديثَ لأُمّـــةٍ ... مكبوتـــةٍ وتعـــيش ظمـــأى صـــاديه

وتحـــدّثي عـــن ذي القصـــور ولهوِهـــا أيـــن القصـــورُ مضـــت وأيـــن اللاهيـــه
قالـــت معالمهـــا دوينـــك مـــا تـــرى يكفيـــك منّـــي مـــا تراهـــا باقيـــه
فاضـــرب بطرفـــك أيـــن بـــانيَ مجـــدها ثـــــاوٍ بأيـــــةِ حفـــــرة أو زاويـــــه
فـــإذا القصـــور ولا بقـــاء لرســـمها وإذا الـــــرؤوس ولا رمـــــيم باليـــــه
وانظـــر إلـــى القبـــر المشـــيد ضـــريحه ســـامي الضـــراح عـــلا بمثـــوى الزاكيـــه
ذيّـــاك حكـــمُ اللـــه يـــأبي عدلـــه إلاّ الإطاحـــــة بـــــالعروش الخاويـــــه
وتكـــون عقبـــى الـــدار تبقـــى دائمـــاً للمتّقـــــين وللعتـــــاة الهاويـــــه

* * * *

يـــا «راويـــة» والقلـــب مـــاضٍ جرحُـــه بالفادحـــاتِ مـــن المآســـي القاســـيه
وأشـــدها وقعـــاً مصـــائب كـــربلا شـــمُّ الجبـــال لهولهـــا متداعيـــه

شاد الحسينُ صروح دين هُدّمت

و (لزينب) أوصى تتم الباقية

فشـــقيقة الســـبطين خفّـــت بالـــذي ... عـــن حملـــه كـــلُّ الرواســـي واهيـــه
قـــد قابلـــت كـــلَّ الخطـــوب بصـــبرها ... مهمـــا تحـــيط بهـــا الظـــروف العاتيـــه
وأتمّـــــت الصـــــرح الـــــذي لبناتـــــهُ ... قامـــــت عليهـــــا فهـــــي أُسُّ الزاويـــــه
بـــــدماء زمرتهـــــا تشـــــيّد أُسّـــــه ... وتشـــــيد أعـــــلاه دمـــــوعٌ جاريـــــه
فمحـــــت بهـــــا أثـــــار ملـــــك أميـــــةٍ ... مـــــن دارهـــــا طـــــرّاً فأضـــــحت خاليـــــه
كـــم موقـــفٍ بالشـــام لـــم تضـــرع بـــه ... صـــكّت بـــه أســـماع ذاك الطاغيـــه
وأذلّـــــت النفـــــر اللئـــــام بقيلهـــــا ... فعنـــــت لهـــــا بالـــــذلِّ تلـــــك الناصـــــيه
وســـــمتهمُ العـــــار الشـــــنار بســـــبّةٍ ... حتّـــــى هـــــووا أعجـــــاز نخـــــلٍ خاويـــــه
فصـــل الخطـــاب ويـــا لـــه مـــن حجـــةٍ ... صـــعقت لهـــا تلـــك الجبـــاه العاتيـــه
فحـــــروف خطبتِهـــــا حـــــروفٌ زاهيـــــة ... وبليـــــغ حجتهـــــا صـــــواعقُ داويـــــه

إيهـــا ربـــوع الشـــام هـــذي زينـــبٌ وطئـــت ثـــراك وهـــي ليســـت راضـــيه
فتعجّلـــت كـــفُّ المنـــون بقبضـــها لمّـــا دعـــت أن لا تـــراكِ ثانيـــه
فتُعيـــدي للـــنفس الجريحـــة مشـــهداً يحكـــي لهـــا ذكـــرى المآســـي الداميـــه
لكـــنّ ربّـــك وهـــو عـــدلٌ حـــاكمٌ يقضـــي لتقضـــي فـــي جـــوارك ناحيـــه
كـــم حكمـــةٍ للـــه فـــي تقـــديرِه فتبـــين واضـــحة وأُخـــرى خافيـــه
فأســـيرة الماضـــي تحطّـــم هـــيكلاً ذرّ الرمـــاد فمالـــه مـــن باقيـــه
وتقـــيم قبّتهـــا بـــرغمِ أُنـــوفهمْ فـــي أرضـــهم حيـــث القطـــوف الدانيـــه
وتـــدرّ زينـــب حيـــث يهمـــي فضـــلها ثـــرّاً عليـــك فعـــدت منهـــا «راويـــه»
وتخـــط زينـــبُ للخلـــود ســـطورَها ومـــدادها تلـــك الـــدموع الغاليـــه
وطـــوت يـــدٌ بيضـــاء كـــلَّ صـــحيفةٍ لأُميـــةٍ قـــد ســـوّدتها عاصـــيه
هـــذا هـــو الفـــتح المبـــين بنصـــرةِ الـــدين الحنيـــف وتلـــك عقبـــى الباقيـــه

وختـــامُ شـــعري فـــي نشـــيد القافيـــه تيهـــي جـــلالاً يـــا بقـــاع «الراويـــه»

* * *

كلمة الأُستاذ الكبير أحمد فهمي محمّد المصري وشعره

السيدة زينب بنت علي (عليهما السّلام) ، العقيلة الطاهرة ، والزهرة الناضرة ، والكريمة الباتعة ، والروضة اليانعة ، سبطة الرسول (صلّى الله عليه وآله) ، وبضعة البتول ، ونجيبة سيف الله المسلول ، السيدة المباركة زينب بنت علي بن أبي طالب (عليهم السّلام).

هي زينب المفاخر والعلا [*] وكريمةٌ آباؤها كُرماءُ

هي ربّة الشورى وغوث ضريعها وهي العياذ وللعفاة رجاءُ

وله أيضاً :

لذ بالعقيلة بضعة الزهراءِ متوسّلاً بكريمة الآباءِ

فهناك مهبطُ رحمة تحظى بها وهناك ما ترجو من الآلاءِ

(*) لا يخفى ما في المصراع من خلل عروضي بيّن. (موقع معهد الإمامين الحسنين)

وافـــتح بفاتحـــةِ الكتـــاب ضـــريحَها واقـــرأ ســـلامك ضـــارعاً بـــدعاءِ
حتّـــى تنـــال الخيـــر مـــن نفحاتهـــا وتـــرى شـــعاعَ جلالـــةٍ وبهـــاءِ
فمزارهـــا حـــرمٌ ومهبطهـــا حمـــىً وهـــي الليـــاذ لنـــا مـــن الـــلأواءِ
فجـــوارحي تصـــبو لـــزورة قبرِهـــا وجـــوانحي تهفـــو لهـــا بـــولاءِ
فاللـــه شـــرّف قـــدرها ومقامَهـــا واللـــه يـــوفي الخيـــر للســـعداءِ

وله أيضاً :

نـــورُ العقيلـــة فـــي الآفـــاق وضّـــاءُ حلّـــت دمشـــق فعـــم القطـــر أضـــواءُ
نـــورُ النبـــوّة موصـــولٌ بمهبطهـــا والنـــور فـــي جنبـــات القبـــرِ لألاءُ
حفّـــت بـــه بركـــاتٌ فـــاض صـــيّبها ونفحـــةُ اللـــه بالروضـــات فيحـــاءُ
يـــا ســـاكني الشـــام بشـــراكمْ بمهبطِهـــا ففـــي حفافيـــه للعـــافين آلاءُ
وقبرُهـــا حـــرمٌ مـــن يســـتجير بـــه تنجـــاب عنـــه بفضـــلِ اللـــه لأواءُ

* * * *

(ولبعضهم)

هـــذا ضـــريح شـــقيقةِ القمـــرينِ بنـــتِ الإمـــامِ شـــريفة الأبـــوينِ
وســـليلةِ الزهـــراء بضـــعة أحمـــدٍ نـــورُ الوجـــود وســـيّد الثقلـــينِ
نســـبٌ كـــريم للفصـــيحة زينـــبٌ شـــمس الضـــحى وكريمـــة الـــدارينِ

* * * *

للمرحوم الشيخ حسن سبتي :

عيبـــةُ علـــمٍ غيـــر أنّ علمَهـــا غريـــزةٌ ولـــم يكـــن مكتســـبا
عالمـــــةٌ عاملـــــةٌ لربّهـــــا طـول المـدى سـوى التقـى لـن تصـحبا
تقيـــةٌ مـــن أهـــل بيـــت عصـــمةٍ شـــقيقةُ الســـبط الحســـينِ المجتبـــى
صـــدّيقةٌ كبـــرى وجـــمّ علمِهـــا طاشـــت بهـــا الألبـــابُ والفكـــر لبـــا
فيـــا لهـــا داعيـــةٌ إلـــى الهـــدى فـــي حـــلِّ كـــلِّ مشـــكلٍ قـــد صـــعبا
ذات فصـــــاحةٍ إذا مـــــا نطقـــــتْ حينـــاً تخـــال المرتضـــى قـــد خطبـــا

سـل مجلـس الشـام ومـا حـلَّ بـه مُـذ خطبـت مـاج بهـم واضـطربا

* * * *

وللمرحوم الشيخ أحمد الكناني من مقطوعة :

لـذ فـي الشـدائد بابنـةِ الزهـراءِ واقصـد حماهـا فـوق كـلِّ عنـاءِ
هـي زينـبٌ ذات المقامـات العـلا وكريمـةُ الأجـداد والآبـاءِ
هـي ربـةُ الشـورى وغـوث مَـن التجـى بنـت الإمـام وفـارس الهيجـاءِ
أُخـت الحسـين وجـدُّها خيـرُ الـورى وهـمُ إذا عـزَّ الرجـاءُ رجـائي

* * * *

للمغفور له الشيخ حسن سبتي :

لمّـا أصـابت (يثربـاً) مجاعـةٌ وشـدةٌ وعـامهم قـد قطبـا
فسـار عبـد اللـه ينحـو الشـام فـي عيالـه يحملهـم و (زينبـا)
لكـنّ وعثـاءَ الطريـق أثّـرت بهـا فكابـدت عنـاءً نصـبا

وعنـــــدما تـــــذكّرت دخولَهـــــا للشـام حسـرى وهـي فـي أسـر السـبا
حمـــت ومـــا زالـــت تعـــاني ســـقماً وســـقمها فـــي جســـمها قـــد نشـــبا
وعـــام خمســـةٍ وخمســـين قضـــت صـــابرةً بالصـــبر حـــازت رتبـــا
وقـــد قضـــت فـــي رجـــب بنصـــفِه ياليـــت أنّـــا لـــم نشـــاهد رجبـــا

* * * *

ولبعضهم :

نفســـي الفـــداء لمشـــهدٍ أســـرارُه مـــن دونهـــا ســـترُ النبـــوّة مســـبلُ
ورواقُ عـــزٍّ فيـــه أشـــرف بقعـــةٍ ظلـــت تحـــار لهـــا العقـــولُ وتُـــذهلُ
تغضـــي لبهجتـــه النـــواظر هيبـــةً ويـــردّ عنـــه طرفـــه المتأمّـــلُ
حســـدت مكانتـــه النجـــوم فـــودّ لـــو أمســـى يجـــاوره الســـماك الأعـــزلُ
وســـما علـــوّاً أن تقبّـــل تربَـــه شـــفةٌ فأضـــحى بالجبـــاه يُقبّـــلُ

(للعلامة السيد مسلم الحلي)

أيّده الله

أزينـــب هـــذي ندبـــةٌ عـــزّ وقعهـــا علـــى منطقـــي إذ موقـــع الـــرزء هائـــلُ
أذاقـــكِ أنـــواعَ المصـــائب موقـــفٌ بـــه الســـبط مثكـــولٌ وإنـــك ثاكـــلُ
فيـــا موقفـــاً مـــا كـــان أســـماه موقفـــاً بـــه لـــذوي الألبـــاب لاحـــت دلائـــلُ
جهـــادُ لســـانٍ قـــد حكـــى فـــي جلالِـــه جهـــادَ ســـنان والجهـــادُ مراحـــلُ
رميـــت بنـــي حـــرب بحـــرب صـــواعقٍ قنابـــلُ قـــولٍ دونهـــنّ القنابـــلُ
تحطّـــم فيـــه عرشُـــهم وعريشـــهمْ وهُـــدّت حصـــونٌ مـــنهمُ ومعاقـــلُ
كـــذا فلـــيكن مَـــن كـــان للـــدين ناصـــراً تهـــونُ عليـــه نفســـه والعوامـــلُ

* * * *

للعلامة الشيخ حسن نجل الحجة الشيخ مرتضى أسد الله الكاظمي :

زينب بنت علي (عليهما السّلام)

تســـيل دمـــوعُ العـــين حزنـــاً وتســـكبُ إذا ذُكـــرت أُمُّ المصـــائب زينـــبُ

هـــي المثـــل الأعلـــى لكـــلِّ فضـــيلةٍ ... وفـي فضـلها الأمثـال فـي النـاس تضـربُ
تقـــوم لهـــا العليـــا وتقعـــد كلّمـــا ... تبـــين لهـــا الـــذكر الحميـــد وتعـــربُ
وكـــم حيّـــرت فـــي ذكرهـــا كـــلَّ كاتـــبٍ ... ومَـــن أخذتـــه حيـــرةٌ كيـــف يكتـــبُ
وكـم أعجـزتْ فـي مـدحها كـلَّ شـاعرٍ ... وإن كـان يحلـو الشـعر فيـه ويعـذبُ
فمَـــن جـــدّها أو مَـــن أبوهـــا وأُمّهـــا ... ومَـــن أخواهـــا حـــين تنمـــى وتنســـبُ
قـــد اكتســـبت أخلاقهـــا وتأدّبـــتْ ... بـــآدابهم يـــا نعـــم هـــذا التـــأدّبُ
مباركـــةٌ فـــي كـــلِّ أرض تحلّهـــا ... فتخضـــرّ منهـــا الأرض يمنـــاً وتخصـــبُ
وعالمـــــةٌ لكـــــن بغيـــــرِ تعلّـــــمٍ ... وذا خبـــرٍ يـــروى ولـــيس يُكـــذّبُ
لقـــد أودعـــت أســـرار آل محمّـــدٍ ... فتأخـــذ منهـــا كـــلَّ علـــم وتكســـبُ
وتحبـــو بهـــا علمـــاً وتوهـــب حكمـــةً ... وطـــوبى لمـــن يُحبـــا بهـــذا ويوهـــبُ
تفـــوق نســـاء العـــالمين شـــجاعةً ... ومنهـــا رجـــال العـــالمين تعجبّـــوا

فمـــا ترتـــاب البلايـــا جميعهـــا! ولا هـــي مـــن أعيائهـــا تتهيـــبُ
تشـــقّ علـــى النـــاس الصـــعاب وإنّمـــا يهـــون عليهـــا مـــا يشـــقّ ويصـــعبُ
ألمّـــت بهـــا الأرزاء وهـــي كثيـــرةٌ كقطـــر الســـما ليســـت تُعـــدّ وتحســـبُ
ولله مـــن قلـــبٍ تحمّـــل ثقلَهـــا ولـــو حـــلّ قلبـــاً دونـــه يتشـــعبُ
ومـــا حُصـــرت فـــي خطبـــة يـــوم روعِهـــا ويحصـــر يـــوم الـــروعِ مَـــن فيـــه يخطـــبُ
لقـــد حملـــت يـــوم الطفـــوفِ رســـالةً ينـــوء بهـــا حمـــلاً ســـواها وينصـــبُ
فأعطـــت جميـــعَ الواجبـــات حقوقَهـــا ومـــا قصـــرت فيهـــا يحـــقُّ ويوجـــبُ
فقامـــت بأعبـــاء الرعايـــة كلِّهـــا ومـــا فاتهـــا فـــي الأمـــر مـــا يتطلّـــبُ
لهـــا وقفـــاتٌ صـــامداتٌ صـــليبةٌ أشـــد مـــن الطـــود العظـــيم وأصـــلبُ
وليســـت تبـــالي لـــو تلـــوم عـــدوَّها ولـــو هـــو مغتـــاظ عليهـــا ومغضـــبُ
ومـــا أظهـــرت شـــكوى إلـــى أحـــد ولـــو ألـــمّ بهـــا مـــا لا يظـــن ويحســـبُ

ولـــم نـــر مغلوبـــاً علـــى كـــلِّ أمـــره يغالـــب بـــالقول العـــدو فيغلـــبُ
وإنّ وقـــوع القـــول فـــوق نفوسِـــهمْ أشـــدّ علـــيهم مـــن ســـهامٍ وأصـــعبُ
تجنبـــت الشـــيء المخـــلّ بشـــأنها وإنّ الكـــريم الحـــرَّ مَـــن يتجنـــبُ
وكـــم أغلظـــت بـــالقول دون تريّـــبٍ أمـــام الـــذي مـــن أمرهـــا متريّـــبُ
أمـــام عبيـــدِ اللـــه طـــوراً وتـــارةً أمـــام يزيـــدٍ حـــين قامـــت تؤنّـــبُ
فيـــالَ مقـــامٍ لـــو يقـــوم مقامهـــا ســـواها قضـــى رعبـــاً بـــه حـــين يرعـــبُ
فتلهـــب بـــاللفظ النفـــوسِ حماســـةً ومـــا هـــي إلا جمـــرة تتلهـــبُ
لقـــد أنشـــبت حربـــاً علـــيهم طويلـــةً مـــداها ومـــا زالـــت مـــدى الـــدهر تنشـــبُ
ولـــو لـــم يكـــن إقـــدامُها وجهادُهـــا لمـــا كـــان شـــيء للوقيعـــة ينســـبُ
ويعجـــب مـــن إقـــدامها كـــلُّ معشـــرٍ ولا عجـــبٌ منـــه إذا منـــه يعجـــبُ
تقلّبـــت الأحـــداثُ نصـــب عيونِهـــا ومـــا أعظـــم الأحـــداث إذ تتقلّـــبُ

فمنظـــر قتلاهـــا أمـــام عيونِهـــا وهـــل منظـــرٌ منـــه أشـــدّ وأرهـــبُ
فهـــذا علـــى وجـــه الصـــعيدِ معفّـــرٌ تريـــبٌ وهـــذا بالـــدماء مخضـــبُ
ومـــا برحـــت طـــول الحيـــاة حزينـــةً تنـــوح علـــى قتلـــى الطفـــوف وتنـــدبُ
فمـــا الـــرزء ينســـى لا ولا الحـــزن ينتهـــي ولا الـــنفس تســـلو لا ولا الـــدمع ينضـــبُ
ففـــي كـــلِّ يـــوم فـــي الســـماء مـــآتمٌ وفـــي كـــلِّ عـــينٍ عبـــرةٌ تتصـــبّبُ
وإنّ بعـــين اللـــه كـــلَّ وقيعـــةٍ يطـــيح بهـــا آلُ الرســـول ويعطبـــوا
فـــتطعن بالســـمر العـــوالي صـــدورها وأعناقهـــا بالمشـــرفية تضـــربُ
وإنّ بعـــين اللـــه كـــلَّ عقيلـــةٍ لهـــمُ فـــي يـــد الأعـــداء تُســـبى وتســـلبُ

* * * *

فطـــوبى لأرضِ الشـــام حيـــث تنزّلـــت بهـــا بركـــاتٌ تربهـــا لـــيس يجـــدبُ

تحــلّ بهــا مــن نســوةِ الــوحي حــرّةٌ مباركـــةٌ ميمونـــةٌ هـــي «زينـــبُ»
تطيّــب تُــربُ الأرضِ مــن طيبهــا وكــمْ تضـــوّع طيبـــاً تربُهـــا المتطيّـــبُ
فمرقــدُها فـــي كـــلِّ قلـــبٍ معظّـــمٍ ومشـــهدُها فـــي كـــلِّ نفـــسٍ محبـــبُ
وتختلـــف الـــزوّارُ نحـــو مزارِهـــا تجـــيء إليـــه كـــلَّ يـــوم وتـــذهبُ
فـــلا فاتـــه روحٌ مـــن اللـــه طيّـــبٌ ولا جـــازه قطـــرٌ مـــن الســـحب صـــيّبُ

* * * *

تحقيق حول مشهدها الشريف في الشام أو في مصر

لا ريب أنّ الفاطميّين هم من السلالة الطاهرة ، ومن أبناء العلويّين الذين ينتمون إلى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السّلام) ، وعلى رغم ما فعلته السلطة الجائرة من إنكار نسبهم الشريف ، وقد قيل :

ولا تضــرّ كــلابُ الســود أن نبحــتْ علــى الأُســود وأبــدت كــامنَ الضــغنِ

فهذا ابن عمهم الشريف الرضي (رضوان الله عليه) يصدّق نسبهم بقوله :

أَلــبَسُ الــذُلَّ فــي دِيــارِ الأَعــادي وَبِمِصــــرَ الخَليفَــــةُ العَلَــــوِيُّ

مَــن أَبــوهُ أَبــي وَمَــولاهُ مَــولا يَ إِذا ضــــامَني البَعيــــدُ القَصِــــيُّ

لَــفَّ عِرقــي بِعِرقِــهِ سَــيِّدا النــا سِ جَميعــــاً مُحَمَّــــدٌ وَعَلِــــيُّ (*)

وقد جهد الفاطميّون في عهدهم على أن يجعلوا مصر شيعية محضة موالية لآل الرسول (صلّى الله عليه وآله) ومَن وجبت على الخلق محبتهم ، وقاموا بأشياء توطئة لقصدهم ، منها جلبهم

(*) وردت الأبيات هنا في غير هذا النحو ، وفيها من الأخطاء العروضية والتغيير والتبديل الشيء الكثير ، وقد أثبتنا ما هو موجود من أصل الديوان. (موقع معهد الإمامين الحسنَين)

الصندوق الذي فيه رأس الحسين (عليه السّلام) من عسقلان [1] إلى مصر ، وبنو عليه مسجداً فخماً ، وحتّى اليوم يزار مسجد رأس الحسين (عليه السّلام).

ذكر الشيخ عبد الوهاب الشعراني في طبقات الأولياء عند ترجمته للحسين (عليه السّلام) ، قال : دفنوا رأسه ببلاد المشرق ، ثمّ رشى عليه طلايع بن رزيك بثلاثين ألف دينار ونقله على مصر ، وبنى عليه المشهد الحسيني ، وخرج هو وعسكره حفاة إليه نحو الصالحية من طريق الشام ينقلون الرأس الشريف ، ثمّ وضعه طلايع في كيس من الحرير أخضر على كرسي آبنوس وفرشوا تحته المسك والعنبر والطيب قدر وزنه مراراً.

وممن قال : إنّ الرأس الشريف بالمشهد الذي بالقاهرة اليوم ، نقل إليها من عسقلان ، علي بن أبي بكر المشهور بالسائح الهروي ، المتوفّى سنة ٦١١ هـ ، قال [في] الإشارات إلى أماكن الزيارات عند كلامه على عسقلان : وبها مشهد الحسين (رضي الله عنه) ، كان رأسه بها ، فلما أخذتها الفرنج نقله المسلمون إلى مدينة القاهرة سنة ٥٤٩ هـ. وذكر مجير

---

(١) عسقلان : مدينة كانت على ساحل بحر الشام من أعمال فلسطين ، وكان يقال لها : عروس الشام ؛ لحسنها ، وهي ذات بساتين وضياع ، بها مشهد رأس الحسين (عليه السّلام) ، وهو مشهد عظيم ، وفيه ضريح الرأس والناس يتبركون به ، وقد نقل الفاطميّون رأس الحسين منها إلى مصر.

الدين الحنبلي في (الأنس الجليل) عند ذكر هـ لعسقلان ، قال : وبها . أي بعسقلان . مشهد عظيم بناه بعض الفاطميّين من خلفاء مصر على مكان زعموا أنّ فيه رأس الحسين بن علي بن أبي طالب (عليه السّلام).

كما وأنّهم شيّدوا مرقد السيدة نفيسة ، ونوهوا بنسبها وعظم شأنها ، وهو يزار حتّى اليوم ، وكذلك شيدوا أيضاً قبر أُمّ كلثوم الملقّبة بزينب الصغرى ، ونوّهوا بأنّ هذا هو مرقد السيدة زينب عقيلة بني هاشم.

وهاك ما كتب على باب المرقد : بسم الله الرحم الرحيم ، (وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلاَ تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً) ، هذا ما أمر به عبد الله ووليه أبو تميم أمير المؤمنين الإمام العزيز بالله (صلوات الله تعالى عليه وعلى آبائه الطاهرين ، وأبنائه المكرمين) ، أمر بعمارة هذا المشهد على مقام السيدة الطاهرة بنت الزهراء البتول ، زينب بنت الإمام علي بن أبي طالب (صلوات الله تعالى عليها وعلى آبائها الطاهرين ، وأبنائها المكرمين).

وقد أخذ المؤرّخون على ما وجدوا من الكتابات على جدران مرقدها ، والتي رقمت في أيام الفاطميّين بعين الاعتبار ، وجاء مؤلف كتاب (العدل الشاهد في تحقيق المشاهد) ، مشاهد مصر ، فذكر أنّ هذا هو قبر زينب الكبرى ، وتبعه

المتأخّرون وأثبتوا ذلك في مؤلفاتهم ، وهذا المقريزي [1] لم يذكر لزينب الكبرى مشهداً في مصر ، وجلّ قوله في ما كان يعمل في يوم عاشوراء من سنة ثلاث وستين وثلاثمئة ، قال : انصرف خلق من الشيعة وأشياعهم إلى المشهدين ؛ قبر أُمّ كلثوم ونفيسة ، ومعهم جماعة من فرسان المغاربة ورجالاتهم بالنياحة والبكاء على الحسين (عليه السّلام) ... إلخ.

وعند ذكره للشيعة [2] ، وقد كانت مصر لا تخلو منهم في أيام الإخشيدية والكافورية في يوم عاشوراء عند قبر أُمّ كلثوم وقبر نفيسة ... إلخ ، ذكر واقعة الطفِّ ومقتل الحسين في نفس المصدر ، ويذكر زينب الكبرى ومواقفها يوم عاشوراء.

فالحقيقة هي أنّ المشهد الذي في مصر هو مشهد أُمّ كلثوم بنت علي (عليه السّلام) ، والمشهد الذي بالشام هو مشهد زينب الكبرى ، وقد تسلمته الشيعة عن بعيد ، وجيلاً عن جيل ، إذاً لا يرتاب أحد في ذلك أبداً.

وهذا الحجة الأكبر وإمام عصره سيدنا السيد عبد الحسين شرف الدين ، فإنّ رأيه الصواب ، وقوله الفصل يرى أنّ هذا هو مشهد العقيلة زينب الكبرى ، وله مقالة مسهبة بمناسبة وصول الضريح الأثري الذي تبرّع به المرحوم محمّد حبيب الباكستاني ، ونصب

---

(١) انظر الخطط المقريزيّة ٢ / ٢٨٩.

(٢) المصدر نفسه / ٢٩٠.

على قبر السيدة زينب في قرية الست من ضواحي الشام ، وذلك بعد أن ذكر (عطّر الله مرقده) طرفاً من ترجمتها ، والمقالة ذات فصول ، وهذا عنوان مشهدها (مشهد العقيلة).

وهذه أُمّ المصائب عقيلة الوحي والنبوة ، وخفرة علي وفاطمة (عليهما السّلام) ، زينب ، بلغ من عناية الله تعالى بها وكرامتها عليه أن كان مشهدها هذا منذ حلّت رمسه ، كلّ سنة هو أفخم وأعظم منه في سابقتها ، حتّى بلغ اليوم أوج العظمة والعلاء ، يطوف المسلمون بهذا المشهد ، ويعتصمون به ، فإذا هو على الدوام أمل الراغب الراجي عفو ربّه [عن] ذنوبه ، وأمن الراهب التائب الراجي في ستر عيوبه ، ويقضي حوائجه ، متوسلاً إليه تعالى بأُمّ المصائب في سبيله (عزّ وجلّ).

هذا شأن المخلصين لله تعالى في حفظ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) في عترته من بعده ، يعظمون شعائر الله تعالى : (**ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ**) [1].

---

(١) سورة الحج / ٣٢.

وذكر المغفور له الحجة السيد حسن الصدر (نوّر الله رمسه) ، في كتاب (نزهة أهل الحرمين) ، زينب الكبرى بنت أمير المؤمنين (عليه السّلام) ، وكنيتها أُمّ كلثوم ، قبرها قرب زوجها عبد الله بن جعفر الطيار خارج دمشق الشام معروف.

جاءت مع زوجها عبد الله بن جعفر أيام عبد الملك بن مروان إلى الشام سنة المجاعة ، ليقوم عبد الله بن جعفر في ما كان له من القرى والمزارع خارج الشام حتّى تنقضي المجاعة ، فماتت زينب هناك ، ودُفنت في بعض تلك القرى.

قلت : واليوم تعرف القرية التي فيها مرقدها باسمها ، قرية الست زينب. انتهى.

وجاء في كتاب (لواقح الأنوار) : توفيت زينب بنت علي بن أبي طالب (عليه السّلام) بدمشق الشام في سنة أربع وسبعين هجرية. انتهى.

وذكر ياقوت الحموي في معجم البلدان ٤ / ٢١٦ عند ذكر (راوية) : قرية من غوطة دمشق ، بها قبر أُمّ كلثوم ... إلخ.

وجاء في رحلة ابن بطوطة عند سرده للقبور التي حوالي دمشق الشام ، قال : وبقربه قبلي البلد ، وعلى فرسخ منها مشهد أُمّ كلثوم بنت علي بن أبي طالب من فاطمة (عليهم السّلام) ، ويقال : إنّ اسمها زينب ، وكنّاها النبي (صلّى الله عليه وآله) أُمّ كلثوم ؛ لشبهها بخالتها أُمّ كلثوم بنت

رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ، وعليه مسجد كريم ، وحوله مساكن ، وله أوقاف ، ويسمّيه أهل دمشق قبر الست أُمّ كلثوم .... إلخ.

وذكر ابن جبير في رحلته عند عرض ذكره للمشاهد والقبور في دمشق الشام ، قال : ومن مشاهد أهل البيت (رضي الله عنهم) مشهد أُمّ كلثوم ابنة علي بن أبي طالب (رضي الله عنهما) ، ويقال لها : زينب الصغرى ، وأُمّ كلثوم كنية أوقعها عليها النبي (صلّى الله عليه وآله) ؛ لشبهها بابنته أُمّ كلثوم (رضي الله عنها) ، والله أعلم بذلك.

ومشهدها الكريم بقرية قبلي البلد تُعرف بـ (راوية) ، على مقدار فرسخ ، وعليه مسجد كبير ، وخارجه مساكن ، وله أوقاف ، وأهل هذه الجهات يعرفونه بقبر الست أُمّ كلثوم. مشينا إليه وبتنا به ، وتبرّكنا برؤيته نفعنا الله بذلك.

وذكر الشيخ الشبلنجي في كتابه القيّم (نور الأبصار / ٢٣٨) ط العثمانية ، في مناقب السيدة رقية المدفونة بدمشق الشام ، قال : وقد أخبرني بعض الشوام أنّ للسيدة رقية بنت الإمام علي (كرّم الله وجهه) ضريحاً بدمشق الشام ، وأنّ جدران قبرها كانت قد تعيبت ، فأرادوا إخراجها منه لتجديده ، فلم يتجاسر أحد أن ينزل من الهيبة ، فحضر شخص من أهل البيت يدعى السيد ابن مرتضى ، فنزل في

قبرها ، ووضع عليها ثوباً لفّها فيه ، وأخرجها فإذا هي بنت صغيرة دون البلوغ. وقد ذكرت ذلك لبعض الأفاضل ، فحدّثني به ناقلاً عن أشياخه. انتهى كلام الشبلنجي.

قلت : لم يذكر التاريخ أن رقية بنت علي (عليه السّلام) مدفونة بالشام ، وإنّما المأثور والمنقول أنّ هذه هي الطفلة رقية بنت الحسين بن علي (عليه السّلام) التي توفيت بالخربة ، والذي يؤكّد ذلك قول الشبلنجي نفسه : (إذاً هي بنت صغيرة) ، وقبرها اليوم في سوق الشام في الجامع المعروف باسمها ، يزار ويتبرك به ، وقد جدّدوا ضريحه قبل أعوام ، وأرّخت عام تجديده (حول ضريح رقية).

وأمّا السيد [الذي] نزل في قبرها وأخرجها ، ووضع عليها ثوباً لفّها فيه ثمّ دفنها بمكانها ، هو جد الأسرة السادة آل مرتضى ، وهم سدنة مرقد السيدة زينب بنت الإمام علي (عليه السّلام) المدفونة في قرية (راوية) ، وتُعرف اليوم بقرية الست زينب (عليها السّلام).

وسدانة هذا المرقد تقوم به اليوم هذه الأسرة العلوية والدوحة الهاشمية منذ مئات الأعوام ، السادة أل مرتضى يتوارثون هذه السدانة وخدمة هذه العتبة المشرفة يداً عن يد ، ويتسلّم مفاتيح هذه الروضة المباركة الخلف بعد السلف.

ولقد وفّق الله تعالى في الآونة الأخيرة حضرة الوجيه ، والتاجر الشهير ، المحب للخير ، والقائم بشعائر الدين الحاج مهدي البهبهاني فكرّس أوقاته لتشييد وتعمير هذه العتبة ،

وأمره مطاع لدى أرباب الخير وأبناء الإسلام ، وتلّمذ عليه بهذه الخدمة الشريفة السيد الجليل السيد رضا الكاظمي ، فحيّا الله منه هذه الشهامة الهاشمية ، ووفّقه إلى أعمال البر والخير.

موالاة آل البيت (عليهم السّلام) :

قال أبو الأسود الدؤلي (رضي الله عنه) :

أُحـــبّ محمّـــداً حبّـــاً شـــديداً وعباســـاً وحمـــزة والوصـــيّا
هـــوىً أُعطيتـــه منـــذ اســـتدارت رحـــى الإســـلام لـــم يعـــدل ســـويّا
بنـــو عـــمِّ النبـــي وأقربـــوه أحـــب النـــاس كلهـــمُ إليّـــا
فـــإن يـــك حـــبُّهم رُشـــداً أُصـــبه ولســـت بمخطـــئٍ إن كـــان غيّـــا
حواســـت جمـــع كـــن حواســـت جمـــع كـــن

وقال الكعبي (رحمة الله عليه) :

آلُ الرســـول ونعـــم أكفـــاء ال عـــلا آلُ الرســـولِ
خيـــرُ الفـــروع فـــروعُهم وأُصـــولُهم خيـــرُ الأُصـــولِ

هم حبل الله ، مَن اعتصم بهم نجا ، وهم سفن النجاة لمحبيهم ، يصل المحب لهم إلى شاطئ السعادة ، وقد قال (صلّى الله عليه وآله) : «مثلُ أهل بيتي كسفينة نوح ؛ مَن ركبها نجا ، ومَن تخلّف عنها غرق وهوى ، وزجّ في النار زجاً».

وهم الذين مدحوا بآية التطهير ، قال (جلَّت آلآؤه) : (**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمْ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً**) [1] ، والمراد بأهل البيت فاطمة وبعلها علي ،

---

(١) سورة الأحزاب / ٣٣.

وولداهما الحسن والحسين (عليهم السّلام).

ولقد ذكر أرباب التفسير أن آية التطهير نزلت على الرسول الأعظم وهو في بيت أُمّ سلمة ، ويروى عن أُمّ سلمة قالت : لما نزلت هذه الآية الشريفة على النبي (صلّى الله عليه وآله) جلل على الحسن والحسين وعلي وفاطمة كساءً ، وقال : «اللهمَّ هؤلاء أهل بيتي وحامّتي ، اذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً».

فقلت : يا رسول الله ، وأنا معهم؟

قال (صلّى الله عليه وآله) : «أنت مكانك ، وأنت على خير».

وذكر الفخر الرازي في تفسيره قال : إنّ أهل بيته (صلّى الله عليه وآله) ساووه في خمسة أشياء ؛ في الصلاة عليه وعليهم في التشهّد ، وفي السّلام ، يقال في التشهد : السلام عليك أيها النبي (صلّى الله عليه وآله) ، وقال تعالى : (سَلاَمٌ عَلَى إِلْ يَاسِينَ) ، وفي الطهارة ، قال تعالى : (طه) ، أي طاهر ، وقال تعالى : (**وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً**) ، وفي تحريم الصدقة ، وفي المحبة ، قال تعالى : (**فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمْ اللَّهُ**) ، وقال تعالى : (**قُلْ لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى**) [1].

وقال (صلّى الله عليه وآله) : «أحبوا الله لما يغذوكم به ، وأحبوني لحبِّ الله ، وأحبوا أهل بيتي بحبي».

وقال (صلّى الله عليه وآله) : «لا يحبّنا أهل البيت إلاّ مؤمن تقي ، ولا يبغضنا إلاّ منافق شقي».

---

(١) سورة الشورى / ٢٣.

ولقد كان (صلّى الله عليه وآله) يمرّ بباب فاطمة إذا خرج إلى صلاة الفجر ، ويقول : «الصلاة يا أهل البيت ، إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمْ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً».

وقد قال علي (عليه السّلام) في بعض خطبه : «نحن شجرة النبوة ، ومحط الرسالة ، ومختلف الملائكة ، ومعادن العلم ، وينابيع الحكم ؛ ناصرنا ومحبّنا ينتظر الرحمة ، وعدوّنا ومبغضنا ينتظر السطوة».

وإليك ما نظمه الشافعي محمّد بن إدريس (رحمه الله) :

يا آل بيت رسولِ الله حبكمُ فرضٌ من الله في القرآن أنزلهُ
كفاكمُ من عظيم الفخر أنّكمُ مَن لم يصلِّ عليكم لا صلاة لهُ

* * * *

وله أيضاً :

همُ القوم مَن أصفاهم الودَّ مخلصاً تمسّك في أُخراه بالسبب الأقوى
موالاتهمُ فرضٌ وحبُّهم هدىً محاسنهمْ تُحكى وآياتهم تُروى

وله أيضاً :

يا راكباً قفْ بالمحصبِّ من منى واهتف بساكنِ خيفها والناهضِ

سـحراً إذا فـاض الحجـيجُ إلـى منـى فيضـاً كملـتطم الفـراتِ الفـائضِ
إنْ كـان رفضـاً حـبُّ آل محمّـدٍ فليشـهد الـثقلان أنّـي رافضـي

* * * *

ولزبينا بن إسحاق النصراني :

عـديٌ وتـيم لا أُحـاول ذكرهـا بسـوءٍ ولكنّـي محـبٌّ لهاشـمِ
ومـا يعترينـي فـي علـيٍّ ورهطـه إذا ذكـروا فـي اللـه لومـةُ لائـمِ
يقولـون مـا بـال النصـارى تحـبُّهمْ وأهـلُ النهـى مـن أعـربٍ وأعـاجمِ
فقلـتُ لهـم إنّـي لأحسـبُ حـبّهمْ سـرى فـي قلـوب الخلـق حتّـى البهـائمِ

* * * *

وهذا ابن عباس حبر الأُمّة ، جاء من طريقه أنه لمّا نزل قوله تعالى : (قُلْ لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) ، قالوا : يا رسول الله ، مَن قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم؟ قال : «عليٌّ وفاطمة وابناهما».

وقد قال (صلّى الله عليه وآله) : «إنّ الله جعل أجري عليكم المودة في أهل بيتي ، وإنّي سائلكم غداً عنهم».

وقال (صلّى الله عليه وآله) : «الزموا

مودتنا أهل البيت ؛ فإنّه مَن لقي الله (عزّ وجلّ) وهو يودّنا دخل الجنة بشفاعتنا. والذي نفسي بيده ، لا ينفع عبداً عمله إلاّ بمعرفة حقّنا».

وللشيخ محي الدين بن عربي (قدّس سره) :

رأيـــت ولائـــي آلَ طـــه فريضـــةً علـى رغـمِ أهـل البُعـد يـورثني القُربـا
فمـا طلـب المبعـوث أجـراً علـى الهـدى بتبليغـــه إلاّ المـــودة فـــي القربـــى

* * * *

والحديث المأثور ذكره أرباب الحديث والصحاح ، «مَن حفظني في أهل بيتي فقد اتّخذ عند الله عهداً».

وقال (صلّى الله عليه وآله) : «استوصوا بأهل بيتي خيراً ؛ فإني أُخاصمكم عنهم غداً ، ومَن أكن خصمه أخصمه ، ومَن أخصمه دخل النار».

هؤلاء هم آل رسول الله الذين وجبت على الناس محبتهم وولاؤهم والصلاة عليهم.

كان جابر بن عبد الله الأنصاري (رحمه الله) يقول : لو صلّيت صلاةً لم أُصلِّ فيها على محمّد وعلى آل محمّد ما رأيت أنها تُقبل.

وقد سُئل رسول الله (صلّى الله عليه وآله) كيف الصلاة على أهل البيت ، قال (صلّى الله عليه وآله) : «قولوا : اللهمَّ صلِّ على محمّد وعلى آل محمّد كما صلّيت على إبراهيم وآل إبراهيم إنّك حميد مجيد ، وبارك على محمّد وعلى آل

محمّد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد».

فسلام الله على آل رسول الله الطيّبين الطاهرين ، وسلام الله على عقيلة آل النبي الأمين ، وابنة علي بن أبي طالب (عليه السّلام) أمير المؤمنين ، زينب الكبرى ورحمة الله وبركاته.

تاريخ الباب الذهبي لحرم العقيلة زينب الكبرى (عليها السّلام)

حـــرمُ العقيلـــة زينـــبٍ حـــرمُ الهـــدى بفنائـــــهِ زمـــــرُ الملائـــــك عكّـــــفُ

والنـــــاسُ تلـــــثم منـــــه عتبـــــةَ بابِـــــه وجمـــــــيعهم أرّخ «بـــــــه تتشـــــــرفُ»

الكاظمية

علي الهاشمي الخطيب

فهرس

ولادتها ٥
أبوها ٦
أمها..... ٨
نشأتها ٩
شرف نسبهاوفضلها..... ١٠
عبادتها..... ١٣
تهجدها وعبادتها..... ١٤
من غرر كلامها..... ١٩
كلامها مع ابن زياد..... ٢٣
خطبها في مجلس يزيد ٢٤
جوابها ليزيد في مجلسه يزيد ٢٩
شعرها..... ٣٠
زواجها ٣١

زوجها ٣٢
وفاته ٣٦
أولاده وأولادها ٣٦
أسفهارها ٤٣

بعض ما قيل فيها شعراً

فصيدة السيد محمود الحبوبي ٤٥
قصيدة السيد محمد مهدي الخراسان ٤٧
كلمة أحمد فهمي محمد المصري وشعره ٥٣
قصيدة الشيخ حسن سبتي ٥٤
قصيدة الشيخ أحمد الكناني..... ٥٤
من قصيدة السيد مسلم الحلي..... ٥٨
من قصيدة الشيخ حسن الكاظمي ٥٨

تحقيق حول مشهدها الشريف

في الشام أو مصر ٦٤
مولاة أهل البيت..... ٧٢
فهرست ٧٩